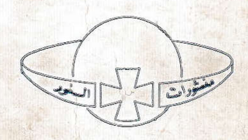
فريد حداد

ذبيحة التسبيح

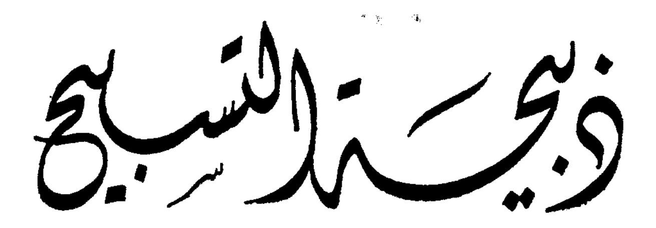


مقدمة
بقلم
المطران جورج خضر



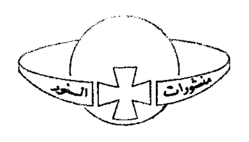

ذبيحة التسبيح

فريد حداد



قدّم له

المطران جورج خضر



مقدمة
بقلم
المطران جورج خضر

مقدمة

لعل هذا السفر هو أول ما نعرف في اللاهوت العادي في الكنيسة الشرقية العربية اللسان . وتبدو لي أهميته في انه يكشف موضوعه في توازن العناصر التي يقوم عليها اذ يجمع بين التاريخ والتأويل وجمال هذا كان عند الكاتبة منطلق مسيرة وان لم يشكل التفسير التأويلي الطبقة الاولى والأساسية في فهمنا للخدمة الالهية . هناك ، بلا شك ، رموز أصيلة ملتصقة بالشكل الذي يؤلف مادة من مـواد الحياة الطقوسية . فالنور اذا استعملناه يحمل رمزيته معه و كذلك الماء. ولكن ان تكون الشمعة المضاءة في الطواف بالانجيل موحية لصورة المعمدان فهذا ليس برمز ولكنه تأويل . لقد أخذت الكاتبة به مع انه ليس قديماً ولكنه قد شاع في العالم الارثوذكسي شيوعاً كبـيراً ولو غطى المعنى التاريخي لليتورجيا .

تقليد لاحق بلا شك ولكن اليه الكاتبة تضع أمامنا المعالم التاريخية للخدمة كما دلت عليها أبحاث المعاصرين والبحث التاريخي كفيل بان يجعل توازناً بين جزء من الخدمة وجزء وان يضعنا في المنظور الصالح .

ولا ريب بان المؤلفة أتت ، من هذا القبيل ، بمساهمة في اغناء مكتبتنا العربية لا تقدر .

وقد يكون فضل هذا الكتاب علينا انه يؤسس الخدمة الالهية، في أبعادها المختلفة ، على الكتب المقدسة . فهناك عشرة للكتاب الالهي وربط بالليتورجيا مـــا كنا نألفها . والعهدان استغلا استغلالاً طيباً والدرسات العبرية الحديثة ساعدت في ابراز الخلفية التورائية للكثيرمن جوانب العبادة .

وما لا بد من تأكيده هنا ان « ذبيحة التسبيح » تنقل الينا لاهوتاً تراثياً متلاحماً والتأمل الشخصي.فنحن لسنا اسرى لمعرفة مجردةولكن الليتورجيا في وحدة شكلها ومضمونها يتمثلها فكر تقي فيأتي الانسجام بديعاً بين الخشوع والمعرفة،ويتجلى لنا بوضوح كيف ان الخدمة الالهية تصير قاعدة للايمان، للدعاء خارج المعبد،بحيث تفنى الحدود بين صلاة الجماعة وصلاة الفرد ، بين الشكل ومعناه،وما قام يوماً معنى بدون عبارة .

اجل نحن مسرحيون.المهم ان نلعب لعبة الله .البساطة تمرّ بالغنى، باللامباشر . العبادة الارثوذكسية ، في اصالتها وما عدا التضخم القليل الذي حصل لهـــا ، مثقلة بغنى روحي وجمـــالي لا مثيل له في الدنيا المسيحية . وان هذا الغنى عينه قد يوحي ، للوهلة الاولى لغير عارفيه بانه شيء صعب . وقد تكون الثروة مرهقة . ولكننا آثرناها على الفقر في العبادة والجفاف في الدعاء فـأتت روافد اجيال بارة ، عمل شعراء نسكيين كانوا مربين للمسيحية الشرقية بمـــا يفوق كل توقع بشري . الليتورجيا البيزنطية ليست بهينة ولكن الذي ذاقها تـــأخذه بحيث يعجز ان يجد ما يماثلها في السحر .

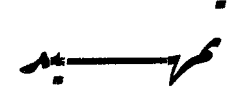
ولا شك عندي ان فريدا حداد قدرت ان توحي هذا الموقف وأن تــأخذ قارئها على دروب البساطة الكبرى ، البساطة الذروة ، فأتت الشهادة ناطقة بليغة .

الليتورجيا لغة ، ولها ككل لغة مدخل، اي ان لها رياضة لا غنى عنها .ولكنك بعد اتمام رياضتك تنسى التعب وتحس بالانتعاش.كل شيء هندسة ولكنك انت لست امام الجهد الهندسي بل ابــداع العمارة . العبادة فن بالمعنى الكبير من الكلمة ، فن الروحيين العظام . وقد القي عليك نير الفهم ،وان تتقبل التفسير ،وان تألف رمزية قديمةأبديةلتخرج من ذلك كله معافى فتواجـــه المعنى الالهي منقولاً اليك كلمة ولحناً وسجدة .

واذا انصبت الكارثة وعزلت الكنيسة عـــن التاريخ والمساهمة المباشرة فيه ، فهي اذ ذاك في ضرورة الانكفاء ،ولكنها تنشيء نفسها وأولادها بين جدران الهياكل . والاشعاع فاعل اليوم او غداً . حسبنا ان نمجد الرب على خير طريقة كي ينحت لنا نفوساً تناجيه وتستلم منه خلابة . الذين تروضوا على الحياة الطقوسية وعرفوا كيف تهدي وتعيد يسقط عندهم الاعتراض على المحسوسات الذي يأتي على غير لسان . فاذا كانت الاحاسيس من خلق الله فلا بد ان نجعلها في فداء الله ايضاً ، ان نرفعها اليه فتتقدّس .أية عبادة تخلو منها كلياً؟ولماذا ننمي تراثاً موسيقياً في كل الكنائس ونحجم عن ميراث الرسم ؟ ان رفض التراث يدفع الانسان ، عاجلاً أم آجلاً ، ان يخلق تراثاً لنفسه . والتراث الذي نحن نؤمن به لم يتخذ هذه الصفة لمجرد قدمه ولكن لكونه مجموعة التفاتات الهية تعرفتها الكنيسة . انه ليس تراكم نصوص بل تكثف مواهب . والطقوس تنمو وتقبل الاصلاح باسهام الذين أعطاهم الروح القدس نعمة جديدة . والنغمات تستعمل أسلوب الناس حتى تحكي ، والنغمات تجيء

منقولة على تاريخ .ولذلك كان لا بد للعبادة المسيحية من تماس واليهودية والوثنية على قدر ما تمثل اليهودية والوثنية في وجهيهما الشرعي ديمومة بشرية أصيلة . عالم اللغة وعالم الشكل وعالم الجسد عـــوالم انسانية لا نستطيع الغاءها لتكون من العهد الجديد . ان هذا الجديد في عمقه ، في الرؤية ، في وصل كل شيء بالمسيح، في مدّ المسيح بالروح القدس.ولكن اليهوديةوالوثنية احتضنتنا الالوهة وانتظرتا المخلص وفيهما زرعت كلمات من ربنا . المسيحية لا تلغي ما كان في الوجود حقاً وجـــلالاً ولكنها تعمّد الموجود وتنقيه لتزداد ثماره . المسيح ، بمعنى ما ، لم يكن بدءاً مطلقاً وان كان كل شيء فيه جديداً . ونحن اتخذنا حضورات كانت لله في شعوبه . صناعة العبادة ، اذا صح التعبير ، تبقى هي اياهـا في كل الأمم . المهم ان يتجلى كل شيء في المسيح . أرجو ان تكون فريـــدا حداد قد وفقت لرسم طريق الى النور .

٢٧ آذار ١٩٧٤ — **المطران جورج خضر**



أقدم هذه المحاولة للدخول الى عالم الليتورجيا الى أعضاء حركة الشبيبة الارثوذكسية. التقينا على مقاعد الجامعة فقربنا تساؤلنا وجمعتنا حيرتنا. وقفت منهم موقف الغريب الزائر فلمست عندهم انفتاحاً لم أعهده من قبل. وكان هذا الانشراح يبدو لي منعشاً في بساطته وعفويته ورصانته وجديته أزاء أحداث الحياة اليومية.

وما لبثت ان أدركت ان الرباط الخفي بينهم يتخطى ميدان الحقائق المستمدة من عالم الكتب والمنطق اذ انه ينبع من القلب ويحفظ فيه فيفيض عنه هبة عطاء. وهم اذ كانوا يجيدون النقاش الفلسفي، غير انهم علموا يقيناً ان المعرفة الحق لا تبتغى في الفلسفة والمنطق وانما تُستَقى من الافخارستيا المعاشة يوماً بعد يوم بفرح وشكر وبساطة قلب، اذ بها تفتح حدقتي الذهن فتتغذّى النفس وترتفع لامعة براقة.

ولا بد لي ان استميحهم عذراً اذا بدا لهم النص أحياناً غير مألوف في أسلوبه وتعابيره. السبب في ذلك هو أنني لا أزال حديثة العهد في لغة الكنيسة الشرقية ولم أعهد بساطة الاسلوب ولا شفافيته. ورجائي ان يستخدم هذا الكتاب لايصال بعض الشيء من تراث الكنيسة لمن

كانوا مثلي بحاجة ماسة الى ان يحملوا الى عتبة الصلاة في شركة جسد المسيح ، وهم قد عهدوا هذا الاسلوب في البحث .

ولهؤلاء أود ان أؤكد ان معنى الليتورجيا لا يدرك باسلوب البحث العلمي الموضوعي وان كان في ذلك منفعة لا يستهان بها لمن قصد الحقائق التاريخية توضيحاً للعقيدة . ولكن العقيدة المعلنة متى رفعت الى مرتبة التسبيح ، تخطّت ميدان المعرفة العلمية . سبيلنا اليها في انفتاح كلي يشمل العقل والقلب والحواس على السواء . هذه مهمة صعبة وشاقة لمن نشأ في التراث الحضاري الغربي . انها هبة النعمة الالهية تعطى لمن أتى يلتمس المعرفة في أحضان الكنيسة وقد خلع عنه رداء التساؤل العلمي الذي شبّ عليه. شأنه ان لا يأتي متسائلا بل ان يمتثل أمام الله بصحبة الكنيسة الجامعة ، أي في مجالسة حقيقية للذين اعتمدوا بالمسيح فلبسوا المسيح المصلوب والممجد ، وقد اتحدوا بفعل ذلك بمن رقدوا على رجاء القيامة في شركة ظافرة تنضم الى قوات الاجناد السماوية في تسبيحها . من يدرك كل ذلك في صميم قلبه ويأتي طالباً المزيد من الايمان والفهم يعطى ويزاد نعمة فوق نعمة على حد قول الرسول ، ومن لا يرى في الكنيسة سوى ناد طائفي يجمعه التقليد والبيئة الحضارية لن يدرك في العبادة سوى رتابة تراث أجوف .

وأود ان أوجه كلمة شكر الى سيادة المطران جورج خضر والى السيد ريمون رزق على ملاحظاتها القيمة حول محتوى هذه الصفحات ، كما انني أشكر ايضاً الاستاذ خليل رامز سركيس الذي راجع النص ونقحه ورجائي ان أكون قد وافيت بعض الشيء هنا، الحوار الذي دار بيننا في انفتاحه على الحق وعلى المحبة .

٣ تشرين الثاني ١٩٧٣ **فريدا حداد**

ذبيحة التسبيح

« الرب الهك في وسطك جبار يخلص . يبتهج بك فرحاً. يبتهج بك بترنم »[1].

سر الحضور الالهي وسط شعبه يفتديه ويشده اليه في فعل فداء دائم هو باختصار سر الليتورجيا . وقد أشار التلمود اليه بعبارة « شكينه » من « شكن » او لبث تحت الخيمة. وما الخيمة هذه سوى تلك التي كانت تغطي تابوت العهد أيام كان بنو اسرائيل تائهين في البرية. فال« شكينه » في الفكر العبري تعني حضور يهوه وسط شعبه في تابوت العهد ومن ثم في الهيكل . وهي مفتاح سر التجسد ، عمانوئيل ، الله معنا في ابنه الوحيد الذي لما أتى ملء الزمان أرسله ليفتدي ويخلص شعبه . هذا ما سنحاول ان نوضحه في « ذبيحة التسبيح » مستندين في ذلك الى نصوص الصلوات أنفسها التي وصلتنا انتفاضات الآباء الروحية في قالب محكي[2] ، ومهتدين في ذلك بنور الآيات الكتابية .

وأتى النص في جزئين ، الجزء الاول ، « حول معنى العبادة الليتورجية » يحاول ان يدخل بنا الى سر المسيح «المقرِّب والمقرَّب» :

تاريخ الفداء

العبادة بالأساس ذبيحة في مفهوم الكنيسة الاولى[٣] . وهي مرتبطة بالكهنوت ارتباطاً حتمياً[٤] . ليست مجرد دعاء موجه الى كائن بعيد انما هي ، بكل معنى الكلمة ، دخول وضع جديد يجعله الله لنا بنعمته حقيقة حياتية محسوسة[٥] . يأتي الينا ناشداً علاقة فعلية ومتبادلة: «لانك أنت المقرِّب والمقرَّب والقابل والموزع أيها المسيح إلهنا » . ركيزة الكتاب المقدس هذا الحنين عند الخالق لان يمكث فيما بيننا[٦] .

تجلي الكنيسة

« لان الخدمة لك عظيمة ورهيبة عند القوات السماوية هي أنفسها ايضاً . لكنك ، لأجل محبتك للبشر التي لا توصف ولا تحدّ ، صرت انساناً بلا استحالة ولا تغير وكنت لنا رئيس كهنة ... وسلمت الينا خدمة هذه الذبيحة الكهنوتية غير الدموية » .

العبادة حَدَثٌ يظهر لنا الله أبداً ودائماً معنا هنا في اللحظة الحاضرة . « أنتم هيكل الله » . لا يقتصر هذا التأكيد على صيغة رمزية لخيال مجَازي وانما هو سر التجسد الالهي في الكليم الشخصي . نقصد القداس الالهي لنختطف في وحدة جسد المسيح شركة خلاصية مسكونية في المعمودية ، وشركة خدمة رسولية تشهد بان مخلصها حيّ .

تقديس الخليقة

والعبادة حدث دائم التجدد يغمر الخليقة بأسرها ويحييها بمجد « اليوم الثامن » اذ انه وسيط الروح القدس . « الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابنَ

الله »[٧] . هذا هو سر التقديس . ان نقبّل الله فينا يعني ان نمتلىء به .
« ان عدْنا قد فتحت للجميع ...و... عود الحياة قد أزهر في المغارة ناميأ من العذراء . لان بطنها قد ظهر فردوساً عقلياً،فيه الغرسة الالهية التي بأكلنا منها نحيا ولا نموت » .

وأما الجزء الثاني، « حول مضمون العبادة الليتورجية » فهو يحاول ان يكشف قالب العبادة الشكلي في بعده اللاهوتي :

ركائز العبادة

يجد فعل الخلق كاله « بيسوع المسيح الممجد » وذلك منذ الازل الى الأبد . والعبادة الليتورجية سيمفونية الايمان تتأرجح أنغامها بين ثلاثة أبعاد صوتية :

١ – « قدوس الاب الذي لا بدء له » ، الآب الخالق الذي كان منذ البدء .

٢ – « قدوس القوي الابن المساوي له في الأزلية » ، الكلمة الذي صار جسداً وحل بيننا ، المسيح يسوع حمل الله المصلوب والمقرّب ذبيحةً ليفتدينا .

٣ – « قدوس الذي لا يموت الروح الكلي قدسه » ، الرب المحيي بشكل عنصرة دائمة في الكنيسة .
ونحن مدعوون في هذه الأبعاد الثلاث لنعاين الله في سر مجده .

شكل العبادة

« خلص شعبك وبارك ميراثك واحفظ ملء كنيستك ... ، يا من

أنعمت علينا بهذه الصلوات المشتركة المتوافقة.. يا من وعدت بانك اذا اتفق اثنان او ثلاثة باسمك تهب لهم طلباتهم ... اجعل دخولنا مقروناً بدخول ملائكة قديسين يشاركوننا في الخدمة وفي تمجيد صلاحك » .

العبادة الليتورجية عبادة جمهورية وهي تتخطى البعد الزمني والمكاني اذ انها تشارك القوات السماوية في تسبيحها . ففيها يأتي الرب ليفتدي شعبه ومعه تحضر « طغمات واجناد الملائكة ورؤساء الملائكة » والقديسون و « جميع الذين رقدوا على رجاء قيامة الحياة الأبدية من آبائنا وأخوتنا » . وما المؤشرات الحسية في شكل العبادة سوى نوافذ نطل منها على الامجاد السماوية .

الصلاة الليتورجية مسيرة جمهورية نحو السماء الجديدة والارض الجديدة . وما الصلوات المكتوبة سوى دليل لاقتفاء آثار تلك المسيرة، وهي في ذلك تغرف من ينبوع الكتاب المقدس آيات ومقاطع سجلت بها لقاءات الله مع جماعة المؤمنين وجهاً لوجه عبر الاجيال ، ينضم اليها المؤمنون في الحاضر ليعاينوا الله في سر تجسده .

وبذلك تكون العبادة الليتورجية مسيرة ذات ايقاع واضح ومنتظم يشهد لتجسد الكلمة الازلية ، ويصوّر مجد السماء الجديدة ، ويبشر بوقائع عمل الله الخلاصي ، ويشارك الجنود السماوية في خدمتها أي في تجسيد فعل الفداء ، وفي انتظار الملكوت الآتي . كل ذلك في قالب حسي ملموس ، وفي خشوع الاستغفار ، وفي فرح سلامي في الحق . واذ هي « باب مفتوح في السماء » ، رؤيا « المدينة المقدسة الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها »، تشهد لبهاء « مسكن الله مع الناس ... وهم ... له شعب ... يمسح كل دمعة من عيونهم والموت لن يكون ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع ... اذ ان كل شيء قد صار جديداً »[٨] .

الحواشي

١ — صفنيا ٣ : ١٧
٢ — Paul Evdokimov, **La Prière de l'Eglise d'Orient,** Editions Salvator et Mulhouse, Paris, 1966, pp. 31-33
٣ — انظر مثلا روميه ٩ : ٤ و ٦ و ١٢ : ١
٤ — انظر الرسالة الى العبرانيين الاصحاح الثامن
٥ — متى ٧ : ٧
٦ — يوحنا ١ : ١ — ١٨
٧ — لوقا ١ : ٣٥
٨ — رؤيا ٢١ : ١ — ٥

لماذا العبادة الليتورجية ؟

قبل ان ندخل في تفاصيل العبادة الليتورجية لا بد لنا من ان نتوقف قليلاً عند معنى الليتورجيا كما ورد في الكنيسة الاولى. هذا لان الانجيل لا يحدد عبارة يشير بها الى صلاة الكنيسة . فهو يستعمل صوراً كلامية عامة تشير الى اجتماع المؤمنين[1] ، أو الى كسر الخبز[2] ، أو الى الاجتماع للأكل[3]، وتشير بعض المقاطع في رسائل بولس الرسول الى فعل الكرازة أو الوعظ في جمع المؤمنين[4] .

والعبارة « اكليسيا » أو « كنيسة » تتضمن مفهوماً ليتورجياً واضحاً اذ انها تجمع الذين يعيشون فعل الفداء، ويطلبون حضور المسيح، ويترقبون مجيئه الثاني. فهي في العهد الجديد شركة صلاة تطلب ارشاد الله وغفرانه وحضوره ، وتجسد فدائه .

ليست الكنيسة اذن مجرد فكرة أو مثال أعلى في العهد الجديد ، انما هي شعب الله، جسد المسيح. هي جماعة تترقب مجيء سيدها وحلول ملكوت الله على الارض . فهي تعيش بالرجاء وتعمل كي يأتي الملكوت

وكي تكون شهادة حية للمسيح. عمل الفداء قد اكتمل على الجلجلة ولكنه في الوقت نفسه مستمر في حياة الكنيسة .

كل من ينظر الى المسيحية من الخارج ، وخصوصاً اذا حاول ان يندمج والتيار الفكري بين أعضاء الشبيبة المسيحية اليوم ، لا بد له ان يستغرب موقف عامة المسيحيين من كنيسة المسيح . يبدو له لأول وهلة ان الكنيسة كمؤسسة قد فشلت في رسالتها الى المسيحي ، ولطالما رددنا السؤال التالي في حلقات نقاشنا الجامعي ، وقد راعتنا الهوة الشاسعة بين رسالة المسيح المثلى وحياة « الكنيسة » المثقلة « بالتقاليد » : ان كان الخلاص يتم بالايمان وحده ، فلِمَ الكنيسة ؟ فها ان مفكراً من أكبر مفكري عصرنا الفرد نورث وايتهد يصرّح : « الديانة الحقيقية هي ما يفعله المرء بوحدته »[5] .

يبدو لنا ان المسيح قد أتى مبشراً برسالة المحبة والسلام . جاء كي يدخل روحاً جديداً في عالم أعمالنا وعلاقاتنا بعضنا مع بعض ، ولكن « الكنيسة » قد ضيقت النطاق على تلك الرسالة واستبدلت بساطة المسيح « بتقاليد » معقدة . لم تخلُ الكنيسة الاولى من هذه النظرية ، فها ان بولس يكتب في احدى رسائله: « لا تتخلفوا عن مجمعنا كما يفعل البعض ، بل واظبوا معاً على الصلاة بكل تواضع »[6] .

ان رسالة المسيح كانت موجهة بالدرجة الاولى لجماعة لا لأفراد . فكل تأويل لتلك الرسالة لا يأخذ الكنيسة بعين الاعتبار تأويل مبني على مفهوم مبتور لمعنى الكنيسة في العهد الجديد . وان عدنا الى موقف رائدي الاصلاح الانجيلي من ذلك ، وقد تميّزوا بالأهمية التي أحاطوا بها الصلاة الفردية ، نسمع جان كالفين يقول : « يستحيل على المرء ان يتخذ الله أباً له ان لم يتخذ الكنيسة أيضاً أماً له »[7] . وان أردنا ان نجسد

شيئاً من روح الكنيسة في قرونها الاولى حق علينا ان نعـود الى تلك النظرة الجماعية في رسالة الانجيل .

لا شك ان فترات العزلة والتأملات الفردية لهـا أهميتها في حياة المسيحي كما ان للوحي الشخصي دوره أيضاً . ولكن خبرة جبل التجلي لا تكتسب معناها الكامل الا اذا تلاها النزول من الجبل الى الجمـوع المحتشدة في السهل، فتستحيل كرازة شهود عيان: « ان داود أبا الاله، لما سبق فرأى بالروح حضورك بالجسد الى الناس أيها الابن الوحيـد استدعى من بعيد الخليقة الى السرور ... تجليت أيها المسيح الاله على الجبل وحسبما وسع تلاميذك شاهدوا مجدك، حتى اذا عاينوك مصلوباً، فطنوا ان آلامك كانت طوعاً باختيارك ، وكرزوا للعالم انـك أنت بالحقيقة شعاع الآب »[8] .

هذه هي الأسس ، التي جعلت كنيسة القرن الاول تنمو وتمتـد ، وكانت قد بدأت شركة صغيرة ضمن اليهودية. ولكن استفانس ما لبث ان أدرك ان تعاليم المسيح لا يجوز لها ان تتفق والشريعة اليهودية ، فلا يجوز للخمر الجديدة ان توضع في أوعية قديمة . فأصبح الهيكل هيكلاً روحياً مسكونياً، وأصبح الكهنوت يشمل أمم العالم واستحالت الاشهر المقدسة المحدودة الى تقديس الحياة بكاملها .

وظهر تعبير « القداس » في القرن الرابع للميلاد في لغة الكنيسة . سنعود اليه في ما بعـد ونكتفي هنا بالاشارة الى ان لفظة ليتورجيا نشأت بنمو الشركة المسيحية. وهي لا تقتصر على الخدمة في الهيكل[9]، بل تتخطاها الى عبادة هي خدمة المسيح ، اذ « ان لنا رئيس كهنة قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات خادماً للاقداس » وهو يقرّب عنا القربان الكامل في «المسكن الحقيقي الذي نصبه الرب»[10] ،وعبادة

هي خدمة الكنيسة[١١] .وهي بمعناها اللفظي تشير الى «فعل الشعب»[١٢] ولا تقتصر على اعضاء الاكليروس . وهي بمعناها السياسي المـــدني في الحضارة اليونانية تشير الى الفدية المادية او الخدمة العسكرية التي كان يقدمها او يقوم بها ذوو الشأن بدلاً عن الفقراء او المعوزين . والكنيسة بفعلها الليتورجي تقوم بخدمة فدية عن الخليقة التي « تـــئن وتتمخض معاً » [١٣] . خدمتها خدمة مصالحة اذ بها« يذبح حمل الله الرافع خطيئة العالم من أجل حياة العالم وخلاصه»[١٤].تستتّر العالم بستر بر الله ورحمته. « استرنا يا رب بستر جناحيك واطرد عنا كل عدو ومحارب وامنـــح السلام لحياتنا وارحمنا وارحم عالمك » . « التي لك مما لك، نقدمها لك على كل شيء ومن جهة كل شيء »[١٥] .

منهنا يتضح لنا دور الليتورجيا كمحور لفعل الفداء الدائم التجدد. هي بمثابة فعل تجلي الله وسط شعبه الذي به نمنح « الفهم الروحي »[١٦] و « في الدهر الحاضر معرفة حقه »[١٧] . ولا بـد لنا ، ان سعينا وراء كمال المعرفة هذه فتجاوزنا الحرف الميت الى الروح المحيي، من ان نشارك الكنيسة في صلاتها مزوّدين بادوات تفتح « حدقتي ذهننا »[١٨] لندرك الحكمة الالهية.وهذه هي أدوات المعرفة الذهنية التي تحفظ فيالقلب[١٩]، وهي تختلف كل الاختلاف عن كل علم منطقي موضوعي . ونحـــن في سعينا أبداً ودائماً في خطر منان نرتكب شرك التفتيش عما هو منطقي وموضوعي،وفي تفتيشنا ننصرف عن العبادة في حضرة الله الى التساؤل العقلي ، فتغيب عنا حقيقة محاكاة الله وجهاً لوجه وراء غلاف فلسفي لاهوتي نبنيه لأنفسنا[٢٠] .

الحواشي

١ — متى ١٨ : ٢٠

٢ — اعمال ٢٠ : ٧

٣ — ١ كورنثوس ١١ : ٣٣

٤ — انظر في ذلك ١ كورنثوس ١٥ : ١٢ — ٢ كورنثوس ٤ : ٥ و ١١ : ٤ — الرسالة الاولى الى تسالونيكي ٢ : ٩ — ٢ تيموثاوس ٤ : ٢

٥ — Alfred North Whitehead, **Religion in the Making,** in **An Anthology,** Selected by F.S.C. Northrop and Mason W. Crass, Cambridge Un. Press, 1953, p. 472

٦ — عبرانيين ١٠ : ٢٨

٧ — John Calvin, **On the Christian Faith,** The Liberal Press, New York, 1957, p. 98. c.f. also Cyprien de cath. eccles. unitate, C. 6. quoted in Paul Evdokimov, l'**Orthodoxie,** Delachaux & Niestlé, Neuchâtel, 1959, pp. 149.

٨ — من صلاة السحر في عيد التجلي — . يشير افدوكيموف الى نضج الحياة الروحية في كتابه
«Les Ages de la Vie Spirituelle»
الى هذا التدرج في الايمان المسيحي من الايمان بالمسيح الى الايمان بالكنيسة الى روحانية آباء البرية التي هي اقرب ما تكون الى معايشة التجلي .

٩ — لوقا ١ : ٢٣ — عبرانيين ٩ : ٢١ و ١٠ : ١١

١٠ — عبرانيين ٨ : ١ و ٢ و ٦

١١ — اعمال ١٣ : ٢ — رومية ١٥ : ٢٧ — ١ كورنثوس ٩ : ١٢ — فيلبي ٢ : ١٧ و ٣٠

١٢ — Leiturgia: Leitos + Ergon

١٣ — رومية ٨ : ٢٢

١٤ — في تقدمة القرابين

١٥ ــ من صلاة الكاهن بعد الاستحالة
١٦ ــ افشين المؤمنين الثاني
١٧ ــ الافشين الثاني
١٨ ــ افشين المائدة المقدسة
١٩ ــ مزمور ٥١ : ٦
٢٠ ــ ١ كورنثوس ٢ : ٧

الجزء الاول

حول معنى العبادة الليتورجية

تاريخ الفداء
في
صلاة الكنيسة

الحضور الالهي[1]

ذكرنا في المقدمة ان سر الليتورجيا هو سر الحضور الالهي وسط شعبه يفتديه ويشده اليه في فعل فداء دائم . وسنحاول في هـذا الجزء تتبع آثار هذا الحضور في تاريخ شعب الله في الكتاب المقدس علماً بان النصوص الليتورجية هي بأنفسها تتبعه وكأنها تعيشه كل عام من جديد.

ان الحدث الذي تنطلق منه الحضرة الالهية في العهد القديم هو ظهور الله لموسى في جبل حوريب في العليقة المتوقدة[2] . ونحن نستعيد هـذا الحدث محبوكاً بحدثي الصلب والقيامة طوال أسبوع الآلام. الرب ظهر ملاكاً[3] لموسى في شكل محسوس وفي مكان محدد . وحضر يهـوه مع رسوله وتكلم مع موسى وأعطاه اسمه . ان عـدداً من علماء الكتاب يفسرون الحدث الخارجي (العليقة المحترقة) بالنسبة الى أحداث طبيعية مماثلة ومألوفة في منطقة سيناء اليوم . ولكن ما يهمنا نحن هنا ، هـو المعنى الروحي في الحدث الحسي : يهوه اله السموات غير المنظور أظهر نفسه في نار مشتعلة بمـلء حريته وارادته . وفي تجليه سيبقى « ناراً آكلة » كما تقول لنا الرسالة الى العبرانيين[4] .

ولكن « الذي خاطب موسى على طور سيناء قديماً برموز قائلا : أنا هو الكائن ، اليوم تجلى ... وأظهر ذاته جمال عنصر الصورة الاولى باتخاذه الجوهر البشري ،وأقام شهوداً لهذه النعمة ... مشتركين بالسرور وسابقي الكرازة بالعتق بواسطة الصليب والقيامة الخلاصية »[٥] .

ويتلو ذلك بعد الخروج من مصر حضور رسول الله وسط شعبه في شكل عمود دخان ونار[٦] .ثم يحضر يهوه بنفسه من دون وسيط او رسول[٧] ويقود شعبه من عبودية مصر الى الصحراء الى جبل حوريب مرة أخرى « فرأوا الله واكلوا وشربوا »[٨] . ثم أتى مجد الرب وسكن الجبل مع شعبه . نلاحظ هنا الدقة الحسية التي يصف بها الكتاب مجد يهوه[٩] كما نلاحظ تحديد المكان والزمان لحضوره .

فعل تجلي الاله القديم الاحد في مكان محدد وخلال فترة زمنية محددة أبقى أثره في الذين رأوه وسمعوه[١٠] .لذا نحن نقول في الليتورجيا « هلموا نصعد الى جبل الرب ، والى بيت الهنا ،لنعاين مجد تجليه كمجد وحيد من الاب ، ونستمد نوراً بنوره »[١١] .

ويتلو تجلي الله على الجبل سكناه مع شعبه بصورة حسية ودائمة في « خيمة الاجتماع » التي حدد هو بنفسه شكلها ومقاييسها ومحتوياتها والبسة الذين يكلفون خدمته فيها [١٢] . وهذه الخيمة هي المكان الذي أختاره الله ليلتقي بشعبه [١٣] وليظهر له نفسه فيه . وبعد ان وضعت لوحتا الناموس في تابوت العهد في الخيمة ،جاء الرب ليسكن فيها بصورة حسية ، سحابة نهاراً وناراً في الليل [١٤] .

وفي الخيمة نفسها يحضر الله في مكان خاص محدد على غطاء تابوت العهد بين أجنحة الشاروبيم . وعلى هذا الغطاء يسكب رئيس الكهنة

دم الذبيحة يوم التكفير [١٥] . ومن هذا الموضع نفسه يتكلم الله كما تكلم في العليقة ومن الجبل [١٦] وفيه يظهر [١٧] .

ثم تتلو في الكتاب تقاليد يوم التكفير او يوم التوبة وجميعها تجد اكتمالها بدخول رئيس الكهنة مرة في السنة الى قدس الاقداس ليقدم دم التكفير على الغطاء في مكان الحضرة الالهية . نذكر هنا ولا شك تفسير الرسالة الى العبرانيين لهذا الفعل التقليدي اذ ترى الرسالة فيه صورة لدخول المسيح الممجد مرة والى الابد الى قدس الاقداس السماوي ليقدم دمه امام الاب فيؤهلنا لمكالمته وجهاً لوجه [١٨] .

ونجد في رؤيا أشعياء تأكيداً لما ورد في اللاويين . يظهر المجد الالهي لاشعياء في قدس الاقداس مصطحبا بالسيرافيم او « ملائكة النار » الذين ينشدون بقداسة الله التي لا يدنى منها مسترين وجوههم . يدخل أشعياء في ذهول خائف [١٩] ، ولكن نار السيرافيم بدلاً من ان تهلكه تطهر شفتيه من كل دنس فتؤهله بذلك لان ينطق بكلام الله نفسه .

ثم يأتي حزقيال وتتجلى الحضرة الالهية له ايضاً محاطة بالشاروبيم . ولكنه يميز مع الشاروبيم كائنات سماوية اخرى الاوفاميم او « العجلات » المعدة للانطلاق لان الحضرة الالهية ستغادر قدس الاقداس الذي من حجر حيث ظن بنو اسرائيل أنهم حصروها الى الابد ، لان قدس الاقداس هذا قد دنسه الشعب اذ أدخل اليه أصنامه . لذا أنصرفت بركة يهوه وأسلم قدس الاقداس للشعوب الوثنية التي نهبته ودمرته [٢٠] .

ولكن الله لم يزل يفتقد شعبه في الجماعة القليلة المكرسة الباقية . تظهر الحضرة الالهية في مجدها للنبي في ارض المنفى [٢١] ، وتبشر بوعد توبة وخلاص [٢٢] ، وتعلن انها للذين في المنفى قد جعلت نفسها مقدساً روحياً غير منظور [٢٣] .

هنا يتضح لنا في حزقيال تساؤل الضمير النبوي في اسرائيل منذ نصب الشعب عليه ملكاً وبنى له مدينة في صهيون واستبدل خيمة الاجتماع بهيكل ثابت .

وعندما عزم داود على بناء الهيكل أرسل له ناتان النبي ليسأله ، كيف تفكر بأن تبني لي بيتاً انا الذي أقطن في السماء ؟ انا الذي صنعت لك بيتاً باركته وحللت فيه [٢٤] ؟ فاذا كان الله قد أتى ليعايش شعبه في أرض الغربة معايشة الرفيق والصديق لان ذلك الشعب قد رأى في الله مصدر وجوده الكلي ، فان الله يرفض ان يكون أسير شعب منظم في المدينة قد دخل في تجربة الظن بأنه يملك يهوه .

ثم اتى سليمان بحكمته ليشيّد الهيكل فسأل هو نفسه قائلاً : « هل يسكن الله حقاً على الارض ؟ هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك فكم بالاقل هذا البيت الذي بنيت » [٢٥] . ولكنه اذا كان قد بناه رغم ذلك فهو لانه أدرك ان في حضور يهوه وسط شعبه سرّ نعمة يفوق الفهم الذهني ، لا يدرك بالعقل ولكنه يقبل في تواضع العبادة .

وتعود الحضرة الالهية فتسكن قدس الاقداس متحجبة في ضباب. ويصرخ سليمان : « قال الرب انه يسكن في الضباب . اني قد بنيت لك بيت سكنى مكانا لسكناك الى الابد » [٢٦] .

ولكن الاصنام تعود فتدخل الهيكل من جديد بيد سليمان نفسه وتغادر الحضرة الالهية قدس الاقداس . الا ان حزقيال يعود ويقول لشعب أسرائيل ما قاله المسيح لتلاميذه في ما بعد « انه خير لكم ان انطلق » [٢٧] . لان مغادرة الله بيت المقدس قد أتت ليتوب الشعب فيسكن الله في وسطه على نحو أفضل في قلوب المؤمنين :

«هلموا ايها الشعوب كافة اذ نحن صاعدون الى الجبل المقدس السماوي ولنقف بحال غير هيولية ،من مدينة الاله الحي،ونشاهد عقلياً اللاهوت الغير الهيولي لاهوت الاب والروح متلألئاً في الابن الوحيد» [٢٨] .

« لأنكم لم تأتوا الى جبل ملموس مضطرم بالنار والى ضباب وظلام وزوبعة ...بل قد أتيتم الى جبل صهيون والى مدينة الله الحي اورشليم السماوية والى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة ابكار ... والى وسيط العهد الجديد يسوع » [٢٩] .

سر الحضور الالهي هو ان الاله الاحد غير المنظور وغير المدرك أعلن نفسه بملء حريته لخليقته اذ اتضع حتى انه قبل رداء الجسد في مغامرة محبة تنتظر في حنينها الفائق ان يفتح الباب لها فتدخل الى قدس الاقداس الشخصي [٣٠] :

« ان حضور المسيح قد أنار جميع الاشياء وجدد العالم بروحه الالهي فنفوس المؤمنين تتجدد لانه قد وضع بيتاً لمجد الرب ، فيه المسيح الهنا الذي يمنحنا الخلاص والرحمة العظمى » [٣١] .

الحواشي

١ — راجع في ذلك ،

Lev Gillet, **Communion in the Messiah,**
SCM, London, 1942.

٢ — خروج ٣
٣ — كلمة « ملاك » تعني رسول
٤ — عبرانيين ١٢ : ٢٩
٥ — من صلاة المساء في عيد التجلي
٦ — خروج ١٤ : ١٩ — ٢٠
٧ — خروج ١٤ : ٢٤
٨ — خروج ٢٤ : ١١
٩ و ١٠ — خروج ٢٤ : ١٠
١١ — من صلاة المساء في عيد التجلي
١٢ — خروج الاصحاح ١٦ وما يتلوه
١٣ — بالعبرية « خيمة الموعد »
١٤ — خروج ٤٠ : ٣٣ — ٣٨
١٥ — خروج ٢٥ : ٢٢
١٦ — عدد ٧ : ٨٩
١٧ — لاويين ١٦ : ٢
١٨ — عبرانيين ٩ : ٦ — ١٤
١٩ — اشعياء ٦ : ٥
٢٠ — حزقيال ١٠ : ١ — ١١ والاصحاح ٢٤
٢١ — حزقيال الاصحاح الاول
٢٢ — حزقيال ١١ : ٧ — ٢٠
٢٣ — حزقيال ١١ : ١٦
٢٤ — صموئيل الثاني ٧ : ١ — ١٦
٢٥ — الملوك الاول ٨ : ٢٧
٢٦ — الملوك الاول ٨ : ١٢ — ١٣
٢٧ — يوحنا ١٦ : ٧
٢٨ — من صلاة السحر في عيد التجلي
٢٩ — عبرانيين ١٢ : ١٨ — ٢٤
٣٠ — رؤيا ٣ : ٢٠
٣١ — من صلاة السحر في عيد التجديدات

المسيح المقرب والمقرب

«لانك انت المقرِّب والمقرَّب والقابل والموزع أيها المسيح الهنا»[1].

حياة المسيح ليتورجيا

اذا تصفحنا العهد الجديد تظهر لنا حياة المسيح وكأنها تجد نفسها ، ليتورجيا ، أو بعبارة أخرى وبلغة الرسول بولس سرّ « خدمة مصالحة »[2] . فهو قد مجد الله في حياته وبهذا عاش حياة صلاة كاملة . واذ قد أصبح « كاهناً الى الأبد على رتبة ملكي صادق »[3] بعد تجليه وصعوده ، حقّ لنا ان ننظر الى حياته بكاملها من هذا المنظار الليتورجي[4] .

يسوع نفسه أدرك رسالته بهذا المفهوم « جاء كي ينقض أعمال ابليس »[5] ويصالحنا بالله بموته[6] . حياته اذا بتسلسلها التاريخي تكتسب معناها الكلي في فعل التحرير هذا وفي تلك المصالحة .

نذكر كيف فسر رسالته على ضوء المزمور ١١٠[7] ، وكيف يعود بنا ذلك الى ما قاله في صلاته في أثناء العشاء الاخير[8] ، وكيف فسر

تطهير الهيكل[٩] وخصوصاً كيف أراد موته وفسره . والرسالة الى العبرانيين تؤكد ما ورد في الاناجيل اذ تقول ان المسيح قد « قدّم نفسه »[١٠] . ونحن أيضاً نقول في التهيئة للقداس الالهى « لانك بمشيئتك سررت ان تصعد بالجسد على الصليب لتنجي جبلتك من عبودية العدوّ »[١١] .

ومما لا شك فيه ان اصداء صلاة الكنيسة الاولى في الانجيل ، المذكورة مثلاً في قصة التلميذين اللذين كانا في طريقهما الى عمواس[١٢] ، تمهد الطريق للعبادة الليتورجية كما اتتنا في ما بعد . وهي ظاهرة جلياً في التصميم الاول للاناجيل الثلاثة اذ تمر بنا في مرحلتين أساسيتين :

المرحلة الاولى : رسالة المسيح في أرض الجليل أو التأكيد على حضور الله مع شعبه بطريقة جديدة أفضل وأقرب من حضوره في العهد القديم ، وهي تركز على خدمة الوعظ والتبشير في حياة يسوع ، وعلى دعوته لتلاميذه ، وعلى حرية الاختيار الشخصي وقبول اتباعه له ، وهذا ما يرد في صلاة الكنيسة في قداس الموعوظين .

والمرحلة الثانية : أو رسالة المسيح في أورشليم وهي تدور حول تجلي المسيح وموته وقيامته وصعوده ، ثم بركته لتلاميذه وارساله اياهم للكرازة باسمه . ويرد هذا كله في قداس المؤمنين[١٣] .

صلاة الكنيسة اذن تتبع خطى المسيح على الارض وهي بذلك تستعيد حدث الفداء من جديد كلما عاشت القداس الالهي .

البعد الزمني في العبادة

« أومن ... برب واحد يسوع المسيح ... المولود من الآب قبل كل الدهور .. مساوٍ للآب في الجوهر ، الذي به كان كل شيء الذي من اجلنا

نحن البشر ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس وصلب ... وتألم وقبر وقام ... وصعد الى السموات ... وايضاً يأتي بمجد .. الذي لا فناء لملكه »[١٤] .

صلاة الكنيسة عبادة المسيح « لانه بقربان واحد قد أكمل الى الأبد المقدسين »[١٥] . ولهذا القربان بعد عمل فداء زمني يمتد من الأزل قبل فعل الخلق والى الأبد ، اذ اننا افتدينا « بدم كريم ... دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم »[١٦] . وعبادة الحمل الذي « بلا عيب ولا دنس » فعل ، احتمت في ظلاله الخليقة باسرها من غضب الله إثر سقوط آدم[١٧] لان خدمة المصالحة التي قام بها قبلها الله منذ البدء قبل ان تظهر لنا في الجسد « في الأزمنة الاخيرة »[١٨] . وبهذا تكون صلاة الكنيسة مشاركة في العبادة السماوية التي جذبت بها الخليقة منذ البدء .

وفعل الفداء قد اكمل في الصليب وتجلى في المسيح الممجد « اذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات »[١٩] ودخل قدس الاقداس « المسكن الحقيقي الذي نصبه الرب »[٢٠] ، وبه نعاين وجه الله[٢١].وهو «كاهن الى الأبد..لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة[٢٢]» و «هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل الى ما داخل الحجاب ... حيث دخل يسوع ... الى الأبد »[٢٣] .

وعندما يقول الكاهن في القداس الالهي « أيها المسيح المنزه عن ان يكون محصوراً »[٢٤] ، يعني بذلك البعدين الاساسيين في فعل الفداء ، البعد الزمني التاريخي الذي اكمل في الجلجلة ، والبعد الأزلي المكتمل قبل فعل الخلق .

هنا ندخل في سر فرح الليتورجيا اذ نحن فيها نتناول الاسرار السماوية « لا لدينونة ولا لقضاء علينا »[٢٥] و « لا ... لمحاكمة ... بل

لشفاء النفس والجسد »[٢٦] . ففي سر الشكر نشترك في حقيقة المسيح الممجد الآتي ثانية[٢٧] ونلمس طعم قدسية الخليقة قبل فعل السقوط فنقول « قد نظرنا النور الحقيقي وأخذنا الروح السماوي »[٢٨] .

قداس المؤمنين شهادة حية نشترك فيها مع القوات السماوية ومع « كل من رقدوا على رجاء القيامة » [٢٩] لنكرز بالذي « كان منذ البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا »[٣٠] .

واذا تصفحنا كتاب الرؤيا نجد فيه ان العبادة السماوية ليست فقط خدمة يقوم بها المسيح من أجلنا ، ولكنها أيضاً وبصورة خاصة خدمة للمسيح ، للخروف المذبوح وهو مستحق « ان يأخذ القــدرة والغنى والحكمة والكرامة والمجد والبركة »[٣١] .

صلاة الكنيسة اذن هي مشاركة في العبادة السماوية تــدخلنا الى الهيكل السماوي[٣٢] وبها نقف أمام المذبح السماوي[٣٣] قبل ان تأتي أورشليم الجديدة التي لا هيكل فيها[٣٤] .

« ننظر الآن في مرآة ، في لغز ، لكن حينئذ وجهاً لوجه » [٣٥] هذا هو ملخص البعد الزمني في الليتورجيا . فهي تنتقل بنا ذهــاباً واياباً من الهيكل السماوي الى الهيكل الارضي في نشوة الخليقة المعتوقة من نير العبودية ولكنها ما زالت « تئن وتتمخض معاً الى الآن »[٣٦] . لذا نقول في القداس « نقف في هذه الساعة ايضاً أمام مجد مذبحه المقدس »[٣٧] وفي الوقت نفسه نطلب « أعطنا ان نشترك باكـثر وضوح في نهار ملكك الذي لا يغرب أبداً »[٣٨] .

الحواشي

١ — من افشين التسبيحة الشاروبيمية
٢ — ٢ كورنتوس ٥ : ١٨ — ٢٠
٣ — انظر في ذلك مزمور ١١٠ : ٤ وعبرانيين ٥ : ١٠ و ٦ : ٢٥ واعمـــال ٢ : ٣٤ وعبرانيين ١ : ٣ والاصحـــــاح ١٣ ورومية ٨ : ٣٤
٤ — انظر في ذلك ،

Oscar Cullmann, **Christologie du Nouveau Testament**, Niestlé, Paris, 1958, pp. 77-94

٥ — ١ يوحنا ٣ : ٨
٦ — رومية ٥ : ١٠ — ٢١
٧ — مرقس ١٢ : ٣٥ وما يتلوهـــا و ١٤ : ١٢ ومـــا يتلوهـــا . انظر ايضا ،

Cullmann, op. cit. pp. 77-79

٨ — يوحنا ١٧ : ١ — ٢٦
٩ — يوحنا ٢٥ : ١٣ وما يتلوها
١٠ — عبرانيين ٧ : ٢٧ و ٩ : ١١
١١ — من ترتيب اخذ الكيرون
١٢ — لوقا ٢٤ : ١٣ — ٥٣
١٣ — انظر في ذلك

Oscar Cullmann, **Les Sacrements dans l'Evangile Johannique, la Vie de Jésus et le Culte de l'Eglise Primitive**, Delachaux et Niestlé, Paris, 1951.

١٤ — في قانون الايمان
١٥ — عبرانيين ١٠ : ١٤
١٦ — ١ بطرس ١ : ١٩ — ٢٠
١٧ — تكوين ٢ : ١٧
١٨ — عبرانيين ١ : ٢
١٩ — عبرانيين ٤ : ١٤
٢٠ — عبرانيين ٨ : ٢

٢١ ـــ عبرانيين ٩ : ٢٥ و ٧ : ٢٥ ورومية ٨ : ٣٤
٢٢ ـــ عبرانيين ٧ : ٣
٢٣ ـــ عبرانيين ٦ : ٢٠
٢٤ ـــ من الطروباريات التي يتلوها الكاهن وهو يبخـــر حـــول المائدة والمذبح
٢٥ ـــ من صلاة الكاهن قبل الصلاة الربانية
٢٦ ـــ في صلوات المناولة في القداس الالهي
٢٧ ـــ عبرانيين ١٠ : ١٤ ـــ ويوحنا ١٧ : ٢٤
٢٨ ـــ يقولها المرتل بعد المناولة
٢٩ ـــ يقولها الكاهن قبل ذكر الاموات في القداس
٣٠ ـــ ١ يوحنا ١ : ١
٣١ ـــ رؤيا ٥ : ١٢
٣٢ ـــ رؤيا ٧ : ١٥ ـــ و ١١ : ١٩ ـــ و ١٤ : ١٧ ـــ و١٥ : ٥ و ٨
٣٣ ـــ رؤيا ٦ : ٩ ـــ و ٨ : ٣ و ٥ ـــ و ٩ : ١٣ ـــ و ١٤ : ١٨ ـــ و ١٦ : ٧
٣٤ ـــ رؤيا ٢١ : ٢٢
٣٥ ـــ ١ كورنتوس ١٣ : ١٢
٣٦ ـــ روميه ٨ : ٢٢
٣٧ ـــ من افشين التريصاجيون
٣٨ ـــ يقولها الكاهن بعد المناولة

صلاة الكنيسة تجسيد لتاريخ الفداء في الحاضر المكرس

« يفصَّل ويجزّأ حمل الله الذي يفصَّل ولا ينقسم ، الذي يؤكل منه وهو لا يفرغ أبداً »[1] .

حضور المسيح

أسّس المسيح صلاة الكنيسة « اذ أخذ خبزاً ... وشكر وبارك وقدّس وكسر وأعطى تلاميذه الرسل القديسين قائلاً: خذوا كلوا هذا هو جسدي الذي يكسر من أجلكم لمغفرة الخطايا . مثل ذلك أخذ الكأس بعد العشاء قائلاً : اشربوا منه كلكم هذا هو دمي الذي للعهد الجديد ، الذي يهرق عنكم وعن كثيرين لمغفرة الخطايا »[2] .

هذا هو سر حضور المسيح في القداس الالهي: « ماران أثا »، الرب يأتي[3]. تعيش الكنيسة مجيء المسيح كلما اجتمعت لكسر الخبز وشرب الخمر لانه هو قد وعد قائلاً « ها انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر »[4].

وقال أيضاً « حيث اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم »[٥] .

حضور المسيح اذاً ليس مجرد ذكرى وانما هو استقبال الرب الآتي . والعبادة الليتورجية حدث فداء تاريخي بكل معنى الكلمة : المسيح هنا بيننا الآن . ولكن يقيننا من وجوده ليس يقيناً علمياً منطقياً وذهنياً . لا « تملك » الكنيسة المسيح « المنزّه من ان يكون محصوراً » . وجوده نعمة الهية ، ونحن خلال القداس نطلب هذه النعمة .

صلاة الكنيسة تستطيع ، بقدر طاعتها للمسيح ، ان تجعل غير المؤمن «يخرّ على وجهه ويسجد لله منادياً ان الله بالحقيقة بينكم »[٦]. واذا كانت هذه صرخة الايمان لغير المؤمن فهي أيضاً يقين الايمان للكنيسة المجتمعة . حضور المسيح في الليتورجيا حضور سري . فالذين عايشوا يسوع في القرن الاول ما كان باستطاعتهم ان يروا انه بالحقيقة ابن الله لولا مخاطرة الايمان التي دعاهم هو اليها . وهكذا نحن ايضاً لا نقدر ان نلمس حضوره الا بعين الايمان. بالايمان نخاطبه في الكتاب المقدس ونراه مصلوباً في الخبز والخمر ، وبالايمان نأتي « لنستقبل ملك الكل مزفوفاً من المراتب الملائكية بحال غير منظورة»[٧] في ما بيننا في القداس الالهي.

وهذا يعني ان حضور المسيح في القداس حضور الاله«غير الموصوف الذي لا تحده العقول ، غير المنظور ، غير المدرك ، الدائم وجوده ، الثابت الوجود »[٨] الذي كان منذ البدء والذي صار جسداً ، والذي هو آت في سحابة بقوة ومجد كثير[٩] .

لم تتساءل الكنيسة الشرقية قط حول كيفية حضوره . فهي تعلم يقيناً انه موجود كلما اجتمع اثنان أو ثلاثة لكسر الخبز . « اقبلني

اليوم شريكاً لعشائك السري... اذكرني يا رب اذا أتيت في ملكوتك.. لقد شغفتني بشوقك ايها المسيح وحولتني بعشقك الالهي ... أهلني ان امتلىء تنعماً بك لكي أعظم حضوريك وانا طرب »[١٠]. القداس الالهي صرخة الكنيسة نحو مخلصها « أومن يا سيد فأعن عدم ايماني »[١١]. يقينها بوجوده رغم « جهالات الشعب »[١٢] و « أمواج الافكار الباطلة »[١٣] لا يأتي عن استحقاق فيها بل لان « المسيح الفصح العظيم الأقدس »[١٤] قد أرسل روحه القدوس « المعزي »[١٥] وبه « تفيض سواقي النعمة ومجاريها... وتحيا كل نفس وتتنقى مرتفعة ولامعة »[١٦] .

والفرق الاساسي بين المسيحية الشرقية والمسيحية الغربية هــو في لاهوت الروح القدس الذي يفسر معنى الاستحالة في القداس . تحدث الاستحالة بعد صلاة التقدمة لان كلمات صلاة التأسيس بحد ذاتها لا تحوي قوة سحرية فليس من وقت محدد للاستحالة . وليس الكاهن هو الذي يستحضر المسيح المجسد انما حضوره من أسرار النعمة الالهية اذ انه هو « المقرِّب والمقرَّب » هو وحده الكاهن الى الأبد .

عندما يفتح الباب الملوكي ، يناول الكاهن الشماس الكأس المقدسة فيأخذها ويقف في الباب رافعاً اياها امام الشعب فيحييه المرتل قائلاً : « الله الرب ظهر لنا مبارك الآتي باسم الرب » . هذا هو سر الثالوث ومحور صلاة الكنيسة الشرقية : الآب الضابط الكل في التقدمة ، والابن المصلوب في التأسيس ، والروح المحيي المرتفع مجده « على السماوات وعلى كل الارض »[١٦] بعد المناولة .

في القداس نختطف في مجد « مملكة الآب والابن والروح القدس » ولكننا في الوقت نفسه ننتظر ملء مجيء الملكوت .

البعد التاريخي في صلاة الكنيسة

« ونحن لتذكرنا هذه الوصية الخلاصية وكل ما جرى من أجلنا : الصلب والقبر والقيامة ذات الثلاثة الايام والصعود الى السماوات والجلوس عن الميامن والمجيء الثاني المجيد، التي لك مما لك نقدمها لك على كل شيء ومن جهة كل شيء »[١٧] .

رأينا ان عبادة الكنيسة صورة عن حياة المسيح التي أتت هي نفسها ليتورجيا كاملة . وقلنا ايضاً ان المسيح موجود في القداس بملء مشيئته وحريته سيداً متجسداً وسط الذين يجتمعون باسمه . وبقي لنا ان نوضح ماذا نعني عندما نقول ان القداس ذكرى .

يجدر بنا هنا ان نعود الى معنى « الذكر » في الكتاب المقدس : « ذكر الله نوحاً ... واجاز ريحا على الارض فهدأت المياه »[١٨] . «فمتى كانت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية في كل جسد على الارض »[١٩] .

ان التذكّر في الكتاب يعني ، أول ما يعني ، الرجوع الى أحداث مضت يرسم منها المستقبل في الحاضر الذي هو بسببها مفعم بالحضور الالهي أي بفعل العهد الخلاصي الذي قطعه الله على نفسه. فالله «يتذكر» بمعنى انه يثبت حضوره بصورة أوضح. « فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع ابراهيم واسحق ويعقوب »[٢٠] .

وتذكّر الله يعني انه قد دنا قريباً وخلّص . « وحدث لما أخرب الله مدن الدائرة ان الله ذكر ابراهيم »[٢١]. ونحن نتذكر الوصية الخلاصية في القداس أي اننا نأتي الى حضرة ذاك الذي « يتذكر » ، الذي يدنو قريباً . لذلك نقول « اقبلني اليوم شريكاً لعشائك السري »[٢٢] .

في القداس اذاً نذكر « كل ما جرى من أجلنا » أي كل ما ورد في العهد القديم ، كل ما هو قبل حدث الميلاد الى حدود التاريخ أي الى سر فعل الخلق ، وكل ما ورد في العهد الجديد ، الميلاد والصلب والقبر والقيامة والصعود حتى الى ما وراء التاريخ أي الى سر المجيء الثاني. البعد التاريخي للقداس يمتد اذاً من الخلق والى مجيء الملكوت. وهو بذلك جهاد ضد قوى الموت في خطى المسيح المنتصر على الموت بالصليب. ونحن اذ نتذكر كل ذلك نؤكده ونثبته ونشهد له ونجعله حاضراً مكرساً : « فلا يكون عليكم ضربة للهلاك ... ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فتعيدونه عيداً للرب . في أجيالكم تعيدونه فريضة أبدية »[٢٣]. ذكرى البعد التاريخي لفعل الفداء هي اذاً تثبيت الماضي والمستقبل في الحاضر المكرس .

« والجلوس عن الميامن والمجيء الثاني المجيد » : كما ان القداس ليس مجرد استعادة أمور مضت في الذاكرة ، ليس كذلك مجرد فعل تكهن في المخيلة ، انما هو ، بالحقيقة ، شركة في العشاء الاخير الذي قال فيه المسيح : « لا أشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي »[٢٤]. «الآن وكل أوان والى دهر الداهرين» نقولها مرة تلو الاخرى في القداس « المسيح معنا وفي ما بيننا . كان وكائن ويكون » . وبهذا نعيش البعد التاريخي لفعل الفداء .

والحاضر المكرس الذي يمتد الى ما وراء التاريخ نعيشه مع « ألوف من رؤساء الملائكة الشاروبيم والسيرافيم ذوي الستة الأجنحة الكثيري العيون متعالين ومجنحين وبتسبيح الظفر مترنمين وهاتفين وصارخين وقائلين :قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت »[٢٥] . فاذا كان الماضي والمستقبل يلتقيان في الحاضر ، ففيه أيضاً تلمس السماء الارض وتشد الارض نحو السماء و « مع القوات المغبوطة... نهتف نحن أيضاً ونقول:

قدوس انت وكلي القدس انت وابنك الوحيد وروحك القدوس . قدوس وكلي القدس ومجدك عظيم البهاء » . تعيش الكنيسة بهذه المشاركة في العبادة السماوية فرح القيامة « بابتهاج وبساطة قلب »[٢٦] وبتهليل[٢٧] وبفرح لا ينطق به[٢٨] .

البعد اللاهوتي

يمكننا ان نستخلص مما تقدم ان العبادة الليتورجية مؤلفة من ثلاث أبعاد أساسية[٢٩] . هي وحي لارادة الله الخلاصية، وهي خدمة مصالحة تجسد هذا الخلاص،وهي الوسيط الذي يكمل الفداء ويتممه في الكنيسة المجتمعة . فلتاريخ الفداء بعد النبوة وبعد الذبيحة وبعد التقديس. وهذه الأبعاد الثلاث تكمل في فعل التجسد. فالمسيح هو النبي لانه حامل وحي الله ومحتواه،وهو الذي يقدم الذبيحة لانه الكاهن والحمل في آن واحد. وهو الملك لانه السيد والخادم ، المقرِّب والمقرَّب والقابل والموزع .

الليتورجيا ذكرى اذاً بمعنى انها تحتوي على كلمة الله في الكتاب الذي يقرأ امامنا . والمناولة ذكرى بمعنى انها خلاصة ما فعله ويفعله الله من أجل مصالحتنا به . والعبادة ذكرى بمعنى انها فعل شعب الله الماثل أمامه بحرية وبفرح والمتقبل نعمة فعل المصالحة والانعتاق من العبودية ومن الموت ، يضم صوته الى صوت موسى ومريم على ضفة البحر الاحمر مرنماً « الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي ... الرب يملك الى الدهر والأبد ... رنموا للرب فانه قد تعظم »[٣٠] .

ولكن اذا كان فعل الفداء قد اكمل في المسيح يسوع ، كيف نقول ان تاريخ الفداء يتم الآن في الكنيسة ؟

من الواضح في العهد الجديد ان فعل الفداء قد اكمل في الصلب وفي

القيامة وفي الصعود . ولكن في الوقت نفسه « وهو منطلق الى السماء اذا رجلان قد وقفا بلباس أبيض وقالا ... ان يسوع هذا الذي ارتفع عنكم سيأتي »[٣١] . فاذا كان فعل الفداء قد اكمل ، فتاريخ الفداء لم ينته وهو مستمر انتشاراً وامتداداً الى ان يشاء الله هو بنفسه ان « يقصر الأيام »[٣٢].وهو ينمو بفعل الروح القدس الذي يثبته في الصعيد الشخصي من خلال فعل العبادة الذي ترفعه الجماعة المكرسة في المعمودية والمثبتة في « ذكرى » العشاء الاخير ، في جذع فاديها .

«فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً وأنتم مملؤون فيه الذي هو رأس كل رياسة وسلطان »[٣٣] . هذا ما نرمز اليه في القداس بإناء الماء الحار المعروف بالزاون. يسكب الماء الحار في الكأس ويقول الكاهن والشماس: « مباركة حرارة قديسيك كل حين ، الآن وكل أوان والى دهر الداهرين ...حرارة ايمان مستوعبة الروح القدس ».ونحن بفعل المناولة نتقبل حرارة الروح المحيي وبذلك نشارك في فعل الفداء[٣٤] .

الحواشي

١ — يقولها الكاهن وهو يفصل الخبز
٢ — يقولها الكاهن قبل المناولة
٣ — ١ كورنثوس ١٦ : ٢٢
٤ — متى ٢٨ : ٢٠
٥ — متى ١٨ : ٢٠
٦ — ١ كورنثوس ١٤ : ٢٥
٧ — في التسبيحة الشاروبيمية
٨ — من صلاة الكاهن بعد تلاوة دستور الايمان
٩ — يوحنا ١ : ١٤ — ولوقا ٢١ : ٢٧
١٠ — من طروباريات المناولة . انظر في ذلك ايضا :
Paul Evdokimov, op. cit., pp. 65-83
١١ — مرقس ٩ : ٢٤
١٢ — في صلاة التقدمة
١٣ — في الخشوعيات بعد ان يدخل الكاهن في الباب الملوكي بعد التسبيحة الشاروبيمية
١٤ — يقولها الكاهن بعد ان ينقل الاجزاء الباقية من الصينية الى الكأس
١٥ — يوحنا ١٦ : ٧
١٦ — من الانتيفونا الرابعة في صلاة السحر للآحاد
١٧ — يقولها الكاهن قبل المناولة
١٨ — تكوين ٨ : ١
١٩ — تكوين ٩ : ١٦
٢٠ — خروج ٢ : ٢٤
٢١ — تكوين ١٩ : ٢٩ راجع في ذلك :
Jean Corbon «Le sens du Dhikr dans la Bible»
٢٢ — الطروبارية التي تتلو الافشين العاشر
٢٣ — خروج ١٢ : ١٤
٢٤ — متى ٢٦ : ٢٩

٢٥ — من صلاة الكاهن وجواب الجوق اذ يرفع الشماس النجم باصابعه عن الصينية المقدسة ويضعه فوق الاغطية .

٢٦ — اعمال ٢ : ٤٦

٢٧ — اعمال ١٦ : ٣٤

٢٨ — ١ بطرس ١ : ٨ ويهوذا ٢٤

٢٩ — Richard Paquier, **Traité de Liturgique,** Delachaux et Niestlé, Neuchâtel, 1954, pp. 29-31.

٣٠ — خروج ١٥

٣١ — اعمال ١ : ١

٣٢ — مرقس ١٣ : ٢٠

٣٣ — كولوسي ١ : ١٠

٣٤ — انظر في هذا ايضا Evdokimov, op. cit., pp. 45-83

الليتورجيا فعل تجلي الكنيسة
جسد المسيح

« أومن ... بكنيسة واحدة ، مقدسة ، جامعة ، رسولية »

تجلي الكنيسة

ذكرنا ان العبادة الليتورجية تجسيد لتاريخ الفداء ووسيط لتجلي المسيح وحضوره . وفي العبادة الليتورجية تتجلى الكنيسة جسد المسيح بملء بهائها . هذا لان « الجبل المدلهم بالدخان قديماً ، أصبح الآن كريماً ومقدساً »[1] .

قال الرب لموسى « اجمع لي الشعب فاسمعهم كلامي »[2].الشعب الذي أعتق من عبودية أرض مصر والذي ثبت كشعب الله المقدس أتى ليقابل يهوه في أسفل جبل حوريب ، فكان « يوم الاجتماع »[3] ، وفيه دعي شعب اسرائيل ليخاطب يهوه بعد كل مرحلة من مراحل تاريخه ، واتى يهوه ليكلم شعبه وليذيع له كلامه . ثم يقدم الشعب ذبائح للرب تثبيتاً لهذه المحاكاة[4] .

وشعب الله المقدس المجتمع ليخاطب الله اصبح في العهد الجديد « الاكليسيا » ، المؤمنون المجتمعون للصلاة ولكسر الخبز ،«الكنيسة» أو « كنيسة الله »[٥] . والكنيسة في الليتورجيا شعب الله المجتمع حول مائدة الرب مع « جميع القوات السماوية العديمة الاجساد » و « جميع الابرار والبارات والقديسين » و « جميع الذين رقدوا على رجاء قيامة الحياة الأبدية»[٦] لان الموت قد فقد شوكته والهاوية قد فقدت غلبتها[٧]. لذا نقول في صلاة المساء في عيد التجديدات « مثل بهاء الجلد العلوي أظهرت الجمال الارضي لمسكن مجدك الأقدس يا رب ، فثبته الى دهر الداهرين وتقبل طلباتنا المقدمة لك فيه بغير فتور » .

في الليتورجيا تدرك الكنيسة المجتمعة انها شركة خلاصية في المعمودية ، وانها عروس للمسيح فاديها ، وانها شركة جامعة ، وانها شركة خدمة ، وانها شركة رسولية ، وانها شركة شهادة . ماذا نعني بذلك ؟

الكنيسة شركة خلاصية في المعمودية

« نتضرع اليك ... طالبين ان ... تطهر نفوسنا وأجسادنا من كل الأدناس الجسدية والروحية »[٨] . في الليتورجيا تخرج الكنيسة من العالم وتمتثل أمام سيدها شركة الذين ثبتوا في المعمودية . وكما ان شعب اسرائيل مر بمياه البحر الاحمر قبل ان يقابل يهوه وجهاً لوجه، كذلك الكنيسة المجتمعة تضم الذين ثبتوا في شركة خلاصية وفرزوا بنعمة الروح القدس ليكونوا شعب الله المختار . « وليس أحد من المرتبطين بالشهوات والملذات الجسدانية مستحقاً ان يتقدم اليك او ان يدنو منك او يخدمك يا ملك المجد. لان الخدمة لك عظيمة ومرهوبة عند القوات السماوية»[٩]. في الليتورجيا « نخرج اليه خارج المحلة » ، خارج الأسوار، خارج الباب لاننا ننشد « المدينة العتيدة »[١٠] .

وهذا يعني اننا في الليتورجيا ندعو الله الآب « بـــلا دينونة ولا عثرة »[١١] في مجد القيامة « أمواتاً عن الخطيئة ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا »[١٢] .

ولكن مدينتنا « الباقية » ، عـــالمنا الذي لم نستطع حمله معنا في المعمودية نقدمه أمام وجه الله في الليتورجيا في الطلبات التي يُفتتح فيها القداس الالهي لكي يحفظ في سلام الرب فنستقبله مقدساً قبل التقدمة وقبل التأسيس ونعود به واليه أورشليماً جديدة ومنارة بعد المناولة . ونرانا اليوم قد أصبحنا في وضع يخشى معه ان نصير كبني اسرائيل بعد ان عبروا البحر الأحمر ، نعمد نحن بدورنا لعبادة عالمنا عجلاً مسكوباً بدلاً من ان نقدمه قرباناً لله[١٣] . وكما ان عبور البحر لم يكن المدخل الى أرض الميعاد ، فالمعمودية ليست بحد ذاتها الباب للملكوت الآتي . فهي تقودنا الى الصحراء ، الى التجربة ، حيث نحن دائماً في خطر لان نفقد الخلاص . في المعمودية نعتق من عبودية الخطيئة ، ونرنم مع موسى ، ونلمس حضرة الله فيما بيننا ، ونسر بناموسه ، ونفرح بالذي أرسله ، ونأكل « طعاماً واحداً روحياً »[١٤] ولكن كل ذلك في انتظار تجلي الملكوت واكتماله ، ونحن في خطر من ان نعود الى « مشاكلة هـــذا الدهر »[١٥] . لذا فاننا نستعيد قبول الفداء في القداس الالهي ، نتأكد منه ، نثبته فينا ، ونجاهد في الصلاة لان نحفظ ونبقى « بلا دينونة ولا عثرة »[١٦] .

الكنيسة عروس للمسيح فاديها

صلاة الكنيسة حنين لمقابلة الختن. ونحن بها « نهيء مصابيحنا لامعين بالفضائل والايمان المستقيم . اننا مثل عـــذارى الرب العاقلات ، نلج مستعدين الى العرس ، لان الختن ، بما انه الاله ، يهب الكل الاكليل غير

البالي »[17] . فالكنيسة عروس للمسيح لانها تجمع كل الذين أتوا قابلين دعوته بوحدة الايمان .

وهي ترجو قدوم الختن وتعيش بهذا الرجاء الأكيد . واذ تسأل « كيف أدخل انا غير المستحق في بهاء قديسيك . فاني ان تجرأت على الدخول معهم الى الخدر يبكتني لباسي اذ ليس هو لباس العرس »[18] ، تعلم يقيناً ان العروس آت وهي تراه بعين الايمان فتصرخ نحوه « انني اشاهد خدرك مزيناً يا مخلصي ، ولست أملك لباساً للدخول اليه ،فابهج حلة نفسي يا مانح النور وخلصني »[19] .

وهي مشدودة الى المسيح في محبتها له « نود الختن ... ونحبه »[20] لانه قد حررها . وتكرس له جمالها وفرحها ، اذ تعلم ان الذي يؤخذ بجمالها يرى جماله هو ،فتقول«تبتهج نفسي بالرب لانه ألبسني ثوب الخلاص، وسربلني حلة السرور ، ووضع عليّ تاجاً كالختن ومثل العروس زينني تزييناً »[21] .

الكنيسة عروس للمسيح اذاً بمعنى انها تسهر لتحفظ نفسها في نقاوة العذارى العاقلات في الايمان والرجاء والمحبة . تملأ مصباحها بزيت الكلمة الذي « يؤله الروح ويغذي العقل على منوال غريب »[22]. وهي تنتظر العروس ، حتى اذا أقبل في نصف الليل خرجت للقائه مرنمة « لقد أشغفتني بشوقك أيها المسيح وحولتني بعشقك الالهي »[23] .

« هذا السر عظيم ولكنني أنا اقول من نحو المسيح والكنيسة »[24] . « خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح »[25] . الكتاب المقدس يتكلم عن عهد المصالحة بين الله والعالم ، بين يهوه وبني اسرائيل شعبه ، بين الله والكون المتمثل أمامه في الكنيسة كسر زواج

بين المسيح والكنيسة. وهذا يعني ان العالم بأسره الذي يجد فداءه وكماله في الكنيسة « مخطوب للمسيح » . ومريم العذراء التي قبلت الكلمة في تواضع وبساطة قلب تمثل الانسانية المخطوبة للمسيح في فعل التجسد .

نقول في القداس: «افرحي يا من هي للعلي مسكن مقدس الهي»[٢٦]. وهي للعلي مسكن مقدس لانها قبلت ان تذعن في طاعة ومحبة لحلول الروح فيها . والكنيسة تأتي في القداس لتخطب للمسيح . « الروح القدس يأتي عليك ، وقوة العلي تظللك » يقولها الكاهن للشماس الماثل أمام المذبح عن الشعب في القداس الالهي ، والكنيسة تجيب مع مريم « هوذا أنا أمة الرب . ليكن لي كقولك »[٢٧] . هكذا في نشوة شغفها وعشقها للمسيح تمتثل أمامه « عذراء عفيفة » لتدخل خدره المزين للعرس[٢٨] .

الكنيسة شركة جامعة

واذ يقف الكاهن والشماس في الباب الملوكي ، نطلب قائلين « اعطنا ان نمجد بفم واحد وقلب واحد ونسبح اسمك الكلي الاكرام » . فالكنيسة كالخان الذي حمل اليه السامري الرجل الذي صادفه على قارعة الطريق وضمد جراحه . هي بيت يستقبل الجميع « حيث ليس يوناني ويهودي ، ختان وغرلة ، بربري وسكيثي .. ليس عبد ، ولا حر ليس ذكر ولا أنثى ... بل المسيح الكل وفي الكل »[٢٩] . وهي تتسع للجميع ، النساء كالرجال ، الأولاد كالراشدين ، الشباب كالشيوخ ، الحكماء كالجهلاء ، الاغنياء كالفقراء ، الاقوياء كالضعفاء ، تتخطى الكبرياء والحسد والعبودية . حيث العالم يفرق هي تجمع وتحتضن .

وعندما نقول في القداس « نقرّب هذه العبادة الناطقة ... من أجل الكنيسة الجامعة المقدسة الرسولية »[٣٠] ، نعني بذلك جماعة المؤمنين

الذين لا حواجز سوسيولوجية أو عنصرية أو طبقية أو سياسية حتى ولا جنسية بينهم .

ونواصل طالبين « أيها الرب الهنا احفظ ملء كنيستك »[٣١] أي احفظ ملء انسانيتها التي اكتسبتها من جديد في فعل الفداء والتي ترمز اليها أحداث الشفاء المذكورة في الأناجيل. فالمسيح أقام الأموات وشفى المكفوفين والصم والبكم والمقعدين والمرضى . ونحن اذ شفيت جميع أوجاعنا الجسدية في المسيح يسوع ، لسنا آذاناً فقط ولا أعيناً فقط ، بل نحن دعينا لنسمع ونتكلم ونرى ونسير في خطى المسيح في ملء الانسان الكامل . كل منا يثبت في هذا الكمال بسر الميرون كما ان صلاة الزيت المقدس مثلاً تهدف الى استعادة صورة ملء المسيح الى المؤمن التائب بعد ان تكون قد شوهت بالخطيئة . فالكاهن ، اذ يدهن المريض بالزيت في شكل صليب على جبهته ومنخريه ووجنتيه وفمه وصدره ويديه قائلاً : « أيها السيد ... طهر نفسي وقدس ذهني وشدد أعصابي وعظامي وأنر حواسي الخمس.. وأوضحني مسكناً لروحك... حتى اذا صرت بيتاً لك بدخولي الشركة يهرب مني كل شرير »[٣٢] ، يثبت الانسان الكامل في الكنيسة ، وهو الذي انتصر على قوى الشر وعلى الموت في المسيح يسوع[٣٣] .

واذا كانت الكنيسة جامعة بمعنى انها تتخطى الحواجز المجتمعية وتعيد الينا ملء الانسان الكامل ، فهي أيضاً تتخطى حواجز الزمان والمكان اذ فيها تتمازج الارض بالسماء في مجد اللحظة الحاضرة . وسنعود الى ذلك في الجزء الثاني عندما نتكلم عن البعد الزمني للعبادة وان كنا قد أشرنا اليه في ما ورد سابقاً عن حضور المسيح في الليتورجيا . فالكنيسة تشبه فلك نوح في مسكونيتها. فهي معطاة من الله للعالم شركة خلاصية ووسيطاً لتقديس العالم وحمله الى الله . سنعود الى هذا في القسم

الثاني حـول تقديس العالم ونكتفي هنا بالقول ان الكنيسة تحتضن كل ما أتى المسيح ليشتريه بدمه من الموت وليحرره من قوى الشر، وبهذا المعنى نقول انها شركة جامعة .

الكنيسة شركة خدمة كهنوتية في جسد المسيح

« ارتضِ ان تناولنا بيدك العزيزة جسدك الطاهر ودمك الكريم وبواسطتنا كل شعبك »[٣٤] .

تدرك الكنيسة في عبادتها انها أسست لا لأجل نفسها بل لتكون حاملة الخلاص للانسانية . وكما ان الكلمة المتجسد مسح كاهناً الى الابد، فالكنيسة أيضاً في شهادتها له شركة كهنوتية الى الأبد من أجل العالم . سنعود الى التحدث عن كهنوت الكنيسة في القسم التالي ونكتفي هنا بأن نشير الى ان سر هذه الشركة هو في تعدد المواهب . تدعو العبادة المؤمنين ليكتشفوا ان « أنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد . وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد . وان أنواع اعمال موجودة ولكن الله واحـد الذي يعمل الكل في الكل ... لاننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا الى جسد واحد ... فان الجسد أيضاً ليس عضواً واحداً بل اعضاء كثيرة »[٣٥] . سنعود الى هذا في الجزء الثاني عندمـا نتحدث عن ركائز الكهنوت. لا نتوقف هنا الا قليلاً لنؤكد مع بطرس الرسول« كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة »[٣٦] اذ نحن عاملون مـع المسيح وسفراء عنه[٣٧] .

والكنيسة بعبادتها تشهد للكلمة المتجسد بمعنى انها تكرز به. فهي رغم بعدها المسكوني لا تحتضن سوى الذين قبلوا ان يدخلوها بالمعمودية.

فالذين دخلوا « من الابواب الى المدينة » يكرزون بان«الروح والعروس يقولان تعال ومن يسمع فليقل تعال . ومن يعطش فليأت ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً » [38] وهي بذلك وعد خلاص لمن يشاء ان ينضم اليها بملء حريته .

والكنيسة في عبادتها تفرز نفسها للشهادة ليس فقط بالمعمودية ولكن ايضاً في « شكل » اجتماعها او التفافها المنظور حول جسد المسيح . فهي ليست في وليمة واجتماع دائمين اذ تجتمع فقط في اليوم الاول من الاسبوع لكسر الخبز . « وهذا يعني ان الملكوت لم يأت بعد بمجده الكامل . فهي في عضويتها وفي شكل اجتماعها علامة تساؤل للعالم اذ انها حتى في الشكليات تفرز نفسها شركة متميزة .

وهي اذ تجتمع في اول الاسبوع لكسر الخبز[39] تمثل باكورة الخليقة[40] وترسل الذين تجمعهم ليشهدوا للكلمة خلال ايام الاسبوع الباقية ويكرزوا « بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم » [41] .

« نخرج بسلام » في آخر القداس و «قد نظرنا النور الحقيقي واخذنا الروح السماوي ووجدنا الايمان الحق » لنشهد بأنه « بالصلب قد أتى الفرح لكل العالم . لنبارك الرب في كل حين ونسبح قيامته . لانه قد احتمل الصلب من اجلنا بالموت للموت حطم » [42] .

الحواشي

١ ــ تقال في صلاة المساء في عيد التجلي
٢ ــ تثنية ٤ : ١٠
٣ ــ تثنية ٩ : ١٠
٤ ــ انظر ايضا يشوع ٨ : ٣٠ وما يتبعها ــ اخبار الايام الثاني ٢٠ : ٥ وما يتبعها و ٢٩ و ٣٠ . الملوك الثاني ٢٣ ــ نحميا ٨ و ٩
٥ ــ ١ كورنتوس ١١ : ١٨ و ٢٢ ــ و ١٢ : ٢٨ ــ و ١٤ : ٤ و ٥ و ١٢ و ١٩ و ٢٣ و ٢٨ و ٣٣ .
٦ ــ يقولها الكاهن وهو يرفع اجزاء الطغمات التسع
٧ ــ ١ كورنتوس ١٥ : ٥٥
٨ ــ من افشين المؤمنين الثاني
٩ ــ من افشين التسبيحة الشاروبيمية
١٠ ــ عبرانيين ١٣ : ١٣ وما يتبعها
١١ ــ من افشين المؤمنين الاول
١٢ ــ رومية ٦ : ١١
١٣ ــ خروج ١١ : ٢ ــ و ١٢ : ٣٥ وما يتبعها و ٣٢ وما يتبعها
١٤ ــ انظر في ذلك ١ كورنتوس ١٣ : ١ ــ ١٣
١٥ ــ رومية ١٢ : ٢
١٦ ــ في افشين المؤمنين الاول
١٧ ــ من الكاثسماطات في خدمة الختن الثانية . استعملت لفظة الختن ليتورجيا لتشير الى المسيح العروس
١٨ ــ من الطروبارية بعد الافشين العاشر
١٩ ــ اكسابستلاري
٢٠ ــ من الكاثسماطات في خدمة الختن الثانية
٢١ ــ يقولها الكاهن وهو يلبس الاستيخارة
٢٢ ــ من الطروبارية الاولى بعد الافشين العاشر
٢٣ ــ من الطروبارية الثانية بعد الافشين العاشر
٢٤ ــ افسس ٥ : ٣٢
٢٥ ــ ٢ كورنتوس ١١ : ٢
٢٦ ــ يقولها الكاهن بعد التسبيحة الشاروبيمية

٢٧ ــ لوقا ١ : ٣٨
٢٨ ــ انظر في ذلك **Alexander Schmemann, For the Life of the World,** National Student Christian Federation, N.Y. 1963, The Mystery of Love, pp. 58-70
٢٩ ــ كولوسي ٣ : ١١ وغلاطية ٣ : ٢٨
٣٠ ــ في صلاة الكاهن بعد ان يبارك الخبز والخمرة
٣١ ــ في الطلبة الصغرى من الانتيفونا الاولى
٣٢ ــ من افشين لسمعان المترجم
٣٣ ــ راجع في ذلك
Alexander Schmemann, op. cit., 'Of Water and the Spirit', pp. 47-58.
٣٤ ــ من صلاة الكاهن قبل ان يفصل الخبز
٣٥ ــ ١ كورنتوس ١٢ : ٤ وما يتلوها
٣٦ ــ ١ بطرس ٤ : ١٠
٣٧ ــ ٢ كورنتوس ٥ : ٢٠ و ٦ : ١
٣٨ ــ رؤيا ٢٢ : ١٤ و ١٧
٣٩ ــ اعمال ٢٠ : ٧
٤٠ ــ يعقوب ١ : ١٨
٤١ ــ لوقا ٢٤ : ٤٧ ــ ٤٨
٤٢ ــ يقولها الكاهن بعد ان ينقل الاجزاء الباقية من الصينية الى الكأس

الليتورجيا فعل تقديس للعالم

تقديس العالم

« نقرب اليك هذه العبادة الناطقة من اجل المسكونة » [١]

لن نخوض هنا في بحث فلسفي حول الكنيسة والعالم . فأبحاث كهذه تبعدنا عن جو الليتورجيا وتطرحنا في عالم الجدل النظري الذي يشغله التساؤل والمنطق عن العبادة الحق[٢] . سنحاول ، فضلاً عن ذلك ، ان نكتشف معنى الصلاة الربانية التي تلخص الليتورجيا اذ بها « نصرخ يا ابا الآب »[٣] ونعلن اننا اوصياء ووكلاء ووسطاء عن العالم ، نرفعه أمام وجه الآب ليقدسه ويشفيه ويعتقه من لعنة الناموس ويثبته في حرية الملكوت[٤] .

ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض

« يا رب علمنا ان نصلي »[٥] . طلب التلميذ من يسوع صلاة جديدة « كما علم يوحنا تلاميذه ايضاً » . وها يسوع بدلاً من ان يقترح شكلاً ليتورجياً جديداً يعيد الـ Tefila او« الصلاة»التي كانت تتلى في الكنيس

في خاتمه العبادة يوم السبت وتقال ايضاً ثلاث مرات في اليوم بعد صلاة العائلة وقبل تناول وجبات الاكل[٦] ، وهي تكرس الشعب المجتمع وتقدس اسم الله :

أبانا ومليكنا
ليتقدس اسمك
لتثبت مملكتك في كل الارض
ليتقدس اسمك في سماء السماوات
أعطنا ان نأكل الخبز السماوي
أغفر لنا لاننا خالفنا وصاياك
أحمنا من الشر في سبل التجربة
لان لك الملك والمجد والقوة الى الأبد[٧]

ولا تكتسب « الصلاة » معناها الكامل الا اذا نظرنا اليها من خلال فعل العبادة في الهيكل[٨] وسنرى في ما بعد كيف ان المسيح « كمل » العبادة التي كانت تقام في الهيكل عندمانتحدث عن الشكل الليتورجي.

« تسر بذبائح البر محرقة وتقدمة تامة ... لك أذبح ذبيحة حمد وباسم الرب أدعو ... لتستقم صلاتي كالبخور قدامك ليكن رفع يدي كذبيحة »[٩] . العبادة في العهد القديم ذبيحة وتقدمة للرب بمعنى انها شهادة لسيادة الرب على الخليقة بأسرها .وفي العبادة يقدم الانسان لله على المذبح جزءاً مما وكلّ عليه في جنة عدن، رعبوناً عن شكره له . وهو في ذبيحة العبادة « يحكي » شكره أمام الشعب المجتمع .

فالعبادة الجمهورية في العهد القديم ، وبصورة خاصة في كتب النبوة منذ عزرا ، مؤلفة من « صلاة » ومن « اجتهاد » من تيفيلا (Tefila) ومن تورا (Tora) .والجزء الاكبر من الصلاة مقاطع من التوراة والهدف

الاقصى للتوراة او الاجتهاد هـو العمل على تجسيد شريعة الله في الحياة اليومية ، كما ان التوراة تكتسب معناها الكامل في المقاطـع التي يترنم بها الشعب في الليتورجيا .

فالصلاة تؤهل الشعب ليتمم الشريعة التي يـترنم بها فيعلنها للملا . وهي فعل بركة أو تقديس لاسم الله الحاضر وسط الشعب المجتمع. وكل من ينضم الى الشعب المتحدث بوصايا الرب يلتزم ان يجسد تلك الوصايا في حياته اليومية فحياة المؤمن هي بكاملها أفودا (Avoda) أو « فعل خدمة » لله . وما أحداث الحياة اليومية خـــلال الاسبوع سوى تتمة الخدمة الروحية التي يقدمها المؤمن في العبادة أو « الصلاة والاجتهاد». الخدمة والعبادة متداخلتان . « لتكن حياتك صلاة » هذا هو ملخص عبادة العهد القديم[١٠] .

واترك لنا ما علينا

ان الصورة الكتابية للانسان هي صورة الانسان أمام الله :

« اجيز كل جودتي قدامك . وأنادي باسم الرب قدامك . واترأف على من اترأف وارحم من ارحم ... لا تقدر ان ترى وجهي ...هوذا عندي مكان فتقف على الصخرة ويكون متى اجتاز مجدي أني اضعك في نقرة من الصخرة واسترك بيدي حتى أجتاز . ثم أرفع يدي فتنظر وراءي . وأما وجهي فلا يرى »[١١] .

الـ Tefila أو صلاة الشكر والتسبيح صدى لحنين الانسان في حـالة السقوط الذي ينفي الله من حياته فيسقط في العبودية ، ثم يعود فيصرخ نحو الرب قائلاً مع موسى « علمني طريقك حتى أعرفك لكي أجد نعمة في عينيك ... أرني مجدك »[١٢] . هذا هو معنى التوبة في العهد القديم :

الرجوع الى الله والشوق اليه في أرض المنفى ثم مصاحبته في الصحراء الى أرض الميعاد اذ يجيب يهوه من وسط الضباب « وجـدت نعمة في عيني ... وجهي يسير أمامك فأريحك ... عرفتك باسمك »[١٣] .

ونحن نعيش هذه العزلة وهذه العودة في الليتورجيا اذ نقول: «استرنا يا رب بستر جناحيك[١٤] . أحبك يا رب يا قوتي . الرب ثباتي وملجأي ومنقذي»[١٥] . انت ايها السيد اطلع من السماء...أيها الاله المرهوب[١٦] . أهلني ان امتلىء تنعماً بك لكي أعظم حضوريك[١٧] . كيف أدخل أنا غير المستحق في بهاء قديسيك[١٨] . الله الرب ظهر لنا[١٩] قد نظرنا النور الحقيقي وأخذنا الروح السماوي ووجدنا الايمان الحق[٢٠] . أنت هو الهنا وآخر سواك لا نعرف واسمك نسمي ... أعطنا ان نشترك بك باكثر وضوح في نهار ملكك الذي لا يغرب أبداً[٢١]. اجعل طرقنا مستقيمة ، شددنا جميعنا بخوفك ، احفظ حياتنا ، ثبت خطواتنا[٢٢] .

ان فكرة الانسان الخاطىء او الساقط دون رجوع غير واردة في التلمود لان التلمود يجمع وصايا الله لشعبه ، أي لشعب مشدود الى الله بعهد خلاص لا رجوع عنه . والـ Tefila هي صـــلاة « الصديق » أو الانسان الذي ينتظر الرب وهو في طريقه الى الخلاص والذي لا يقوى من تلقاء نفسه على تكميل الخدمة الـ Avoda أو تمجيد الله قولاً وفعلاً اذ انه في صراع « مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات »[٢٣] وهو بحاجة الى « ترس الايمان » والى « درع البر » والى « خوذة الخلاص »والى «سيف الروح» التي تعطى له في الصلاة[٢٤] .

هنالك عملية اتزان بين القول والفعـل لا نكتسبها الا اذا ثابرنا في مسيرنا في خطى الرب . ومتى فقدنا منظار الانسان الشخصي المتطلع

الى العلاء وقعنا في خطيئة الصلاة الشكلية التي تتلى ولكن لا تعاش ، او في خطيئة الاعمال الحسنة الواثقة من نفسها والمكتفية بنفسها ، وغابت عنا حقيقة « أجناد الشر الروحية » فتجاهلناها وامتنعنا عن مقاومتها.

صلاة الكنيسة الشرقية تؤكد ان الشر ليس مجرد انعدام الخير، انما هو قوة واقعية ، قوة الموت التي لا تقهر الا بالموت ، المـــوت لأنفسنا ليحيا المسيح فينا فنشترك في نصر قيامته ونكرز بالمسيح مصلوباً في حياتنا « لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح »[٢٥] .

لكن « حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جـداً ... دفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح... هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة ... الآن اذ اعتقتم من الخطية وصرتم عبيــداً لله فلكم ثمركم للقداسة »[٢٦] . نرى هنا بشكل واضح كيف ان بولس الرسول يعاني في تفسير مكانة الناموس والاعمال من الايمان :

نحن قد دخلنا بواسطة المعمودية عهد الله الخلاصي ولكننا مدعوون لان نثبت معموديتنا في حياة قداسة. اننا بحاجة لان نتفهم بوضوح اكبر مكانة « الصدّيق » في العهد القديم ، فتنطلق صلاتنا أنشودة فرح حرة مبنية على يقين بر القيامة « لانه ان كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته »[٢٧] .

صلاة التوبة اذاً محاولة لمعاينة الله وهي انتفاضة الشريك في عهد الله الخلاصي ، الذي اذ صارع الله حتى طلوع الفجر مثل يعقوب ، يصرخ في ألم حق فخذه المخلوع : « لا اطلقك ان لم تباركني »[٢٨] . وهي صلاة اسرائيل المتعطش الى وجه الله ، وخدمة العبـد لسيده ، وفرح الابن بحضور أبيه ، وهو اذ قد رأى الاب وجهاً لوجه يحن لان يراه أكثر

فأكثر . « أعطنا ان نشترك بك باكثر وضوح في نهار ملكك الذي لا يغرب أبداً »[٢٩] . نقولها في القداس مشتركين بذلك مع يعقوب الذي يلتمس اسم الرب ، ومع انه لا يــــدركه يدعو « اسم المكان » فنئيل « قائلاً لاني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي »[٣٠] .

« أرسل الله روح ابنه الى قلوبنا صارخاً يا أبا الآب »[٣١] . ولكننا نصارع الله باستمرار ولا نطلب البركة الا بعد الصراع. هذا هو « الرجوع الى الله » التوبة التي يتكلم عنها الملك داود . نحن نعــــود الى الله لاننا ندرك في صراعنا معه اننا قد رأيناه وجهاً لوجه . واذ ندرك ذلـــك يتراءى لنا بشكل محبــة تثبت حتى النفي والصلب . ولكن « هوذا بالصليب قد أتى الفرح لكل العالم . لنبارك الرب في كل حين ونسبح قيامته »[٣٢] .

حضور الله في القداس حضور المحبة المصلوبة . وفعل التوبة فعــل قربان روحي يدرك معنى الصليب فيمجد الرب. وهو يقودنا من الصلاة الى التسبيح ثم الى صمت الاتحاد بالله وطلب البركة .

سنعود الى ذلك في الجزء الثاني عندما نتكلم عن الشكل الليتورجي. ونكتفي هنا بان نقول ان الله منفي بصراعنا الدائم معه . وصلاة التوبة فعل لرجوع الله من المنفى . لذا فان الملكوت يتجسد بفعــل التوبة ، وصلاتنا وساطة لمجيء الملكوت .

كما نترك نحن لمن لنا عليه

في الصلاة الليتورجية يقدس الشعب المجتمع اسم الله ويباركه أي انه يجسّد قداسة الله ويستدعيه من المنفى ويعلن عهد الله الخلاصي لشعوب

الارض[٣٣] . ونحن ، اذ نسبح الرب ونتغنى به ونمجده في الليتورجيا ، نعلن بذلك الخلاص للعالم ونشد الكون الى حضرة الله. لذا نقول «نقرب اليك هذه العبادة الناطقة من أجل المسكونة»[٣٤]. الصالحات والموافقات لنفوسنا والسلامة للعالم »[٣٥] . ارتض ان تناولنا بيدك العزيزة جسدك الطاهر ودمك الكريم وبواسطتنا لكل شعبك »[٣٦]. فالكنيسة المجتمعة تعاين الله وجهاً لوجه وبذلك تقدم خدمة وساطة كهنوتية للعالم. وهي في حضرة الثالوث الممجد تتلقى « كل عطية صالحة وكل موهبة كاملة منحدرة من العلو »[٣٧] . وتشترك في ألوهية الخالق « لغفران الخطايا وللحياة الأبدية »[٣٨] ، « بضمائر نقية لصفح الخطايا وغفران الذنوب وشركة الروح القدس وميراث ملكوت السموات »[٣٩] .

« نودع أنفسنا وبعضنا بعضاً وكل حياتنا للمسيح الاله » . هذا هو معنى محبة القريب[٤٠] . المحبة فعل خلق تبعث بها الحياة اذ هي وسيط لتجسيد « الشكينة » . وهي قربان صلاة يرفع الى الاب من أجل القريب. والقربان أو الذبيحة من أجل الغفران في العهد القديم لا يقتصر على تقدمة مادية . فطالب الغفران، اذ يقدم نفساً حية عربوناً عن توبته، يقدم معها شيئاً من محبته وكأنه يسلخ جزءاً مما أحبه لا معياراً مما انتجت يداه ويقدمه على المذبح[٤١] . واذ يلتقي المذنب بالذي أذنب اليه أمام المذبح في قربان التوبة يزول الخلاف بينهما في حضرة الله .

ولا تدخلنا في تجربة

نتصور التجربة وكأنها حالة سقوط في حياتنا الروحية او حالة حرمان . ولكنها في العهد القديم فعل ايجابي ، تأكيد لحرية الانسان اذ يختار ان يأكل من ثمرة معرفة الخير والشر فينفي الكون من جنة عدن حيث كان الرب يأتي «ماشياً عند هبوب ريح النهار » [٤٢] وبذلك ينفي

الله في حياته . التجربة حالة صراع مع الخالق ، وهي بذلك سر المحبة المصلوبة .

لا تدخلنا في تجربة ، أي نجنا من ان نفاخر بشيء الا بيسوع المسيح وبه هو مصلوباً [٤٣] . تجربة المسيح القصوى هي ان ينزل عن الصليب ، ان يشاء ان يَعْبُر عنه الكأس . ونحن في صلاتنا نقول مع المسيح « لتكن مشيئتك » أي ليكن الصليب اذ ان « الذي خدع آدم الاول بالعود قد خدع بالصليب . والذي ضبط الجبلة الملكية باغتصاب قد أنقلب فتهور بسقطة مذهلة وبدم الاله رحض سم الافعى » و « هزم عملية العنيد » ، و « الجن طردت » ، و « بنصب عود صليبك فقط تزعزعت اسس الموت » . [٤٤]

نجنا من الشرير

نجنا من ان نشاء ان ننغلق على أنفسنا اذ ننفيك عن حياتنا فنغرق في ظلمة الهاوية . أهلنا لان نكون وسطاء لنعمتك نشهد لصليبك اذ انك « صوّرته في السماء متلألئاً بنور ساطع ... و ... لما بسطت يديك عليه اجتذبت العالم أجمع الى معرفتك .. انه يقدس بالنعمة الالهية الاشياء جميعها ... فيا لها من سلم الهية ، بها نرتقي الى السموات » [٤٥]

نجنا من الشرير ، أعطنا ايماناً مثل حبة من خردل لنقوى على ان ننتهر قوى الشر [٤٥] فنحمل الكون معنا الى الملك والقوة والمجد في أورشليم الجديدة حتى ونحن بعد وسط الهاوية والظلمة . لتكن حياتنا شفافة لمجدك لان « الظلمة ايضاً لا تظلم لديك والليل مثل النهار يضيء » . [٤٦]

الحواشي

١ — في صلاة الكاهن بعد ان يبارك الخبز والخمر وبعد ان يذكر الاموات الذي يريد ذكرهم في القداس الالهي

٢ — راجع في ذلك

a — Paul Evdokimov, op. cit., 'Le Sacré' pp. 45-63

b — Alexander Schmemann, op. cit., 'Trampling down death by death' pp. 70-80

٣ — رومية ٨ : ١٥

٤ — راجع في ذلك غلاطية ٤

٥ — لوقا ١١ : ١

٦ — راجع في ذلك

Hans-Joachim Kraus, **Worship in Israel,** Alden Press, Oxford, 1966.

٧ —

Bishop Alexis, 'Continuity of Worship Between Synagogue and Church' 'The Graduate School of Ecumenical Studies, Bossey, 1964-1965 (Unpublished)

٨ —

Rab. Alexandre Safran, 'Culte et Spiritualité' Bossey, 1964-1965

٩ — مزمور ٥١ : ١٦ — و ١١٦ : ١٧ — و ١٤١ : ٢

Rab. Alexandre Safran, 'Spiritualité Juive' Bossey, 1964-1965 (inédit)

١١ — خروج ٣٣ : ١٨ — ٢٣

١٢ — خروج ٣٣ : ١٣ و ١٨

١٣ — خروج ٣٣ : ١٢ و ١٤ و ١٧

١٤ — يقولها وهو يبخر الستر الكبير

١٥ — يقولها الشماس بعد صلاة التقدمة

١٦ — من صلاة الكاهن قبل ان يفصل الخبز

١٧ — من الطروبارية الثانية بعد صلوات الاشتراك

١٨ — من الطروبارية الثالثة بعد صلوات الاشتراك

١٩ — يقولها الجوق بعد الاشتراك

٢٠ ــ يقولها الجوق بعد اشتراك المؤمنين
٢١ ــ يقولها الكاهن بعد ان ينقل الاجزاء الى الكأس
٢٢ ــ يقولها الكاهن بعد ان يضع الكأس على المذبح بعد الاشتراك
٢٣ ــ افسس ٦ : ١٢
٢٤ ــ افسس ٦ : ١٣ ــ ٢٠
٢٥ ــ ١ كورنتوس ١ : ١٧ ــ ٢٥ انظر في ذلك ايضا
Alexander Schememann, op. cit., 'Trampling down Death by Death', pp. 7-80
٢٦ ــ رومية ٥ : ٢٠ ــ و ٦ : ٢ و ٢٢
٢٧ ــ رومية ٦ : ٥
٢٨ ــ تكوين ٣٢ : ٢٦
٢٩ ــ يقولها الكاهن وهو ينقل الاجزاء الباقية من الصينية الى الكأس
٣٠ ــ فنيئيل ' اي وجه الله . تكوين ٣٢ : ٣٠
٣١ ــ غلاطية ٦ : ٦
٣٢ ــ يقولها الكاهن وهو ينقل الاجزاء الباقية من الصينية الى الكأس
٣٣ ــ تثنية ٢٨ : ٩ ــ ١٠
٣٤ ــ في صلاة الكاهن بعد تكريس الخبز والخمر
٣٥ ــ في الطلبة بعد تكريس الخبز والخمر
٣٦ ــ من صلاة الكاهن قبل ان يفصل الخبز
٣٧ ــ من افشين وراء المنبر
٣٨ ــ من الافشين العاشر
٣٩ ــ من صلاة الكاهن قبل الصلاة الربانية
٤٠ ــ انظر في ذلك متى ١٨ : ٢١ ــ ٣٥
٤١ ــ انظر في ذلك تكوين ٤ : ١ ــ ١٦
٤٢ ــ تكوين ٣ : ٨
٤٣ ــ ٢ كورنتوس ٢ : ٢
٤٤ ــ في صلاة المساء في عيد رفع الصليب
٤٥ ــ يوحنا ١٧ : ١٩ ــ ٢١
٤٦ ــ مزمور ١٣٩ : ١١

الجزء الثاني

حول مضمون العبادة الليتورجية

معنى الخدمة الالهية [1]

« كنت لنا رئيس كهنة . و ... سلمت الينا خدمة هذه الذبيحة الكهنوتية »[2] .

ان اركان الكنيسة تشع بالنور والدفء وهما منسوجان في كلمات الليتورجيا يغطيان جدار المعبد فكأنه « باب مفتوح في السماء »[3] يدخل المؤمن منه الى شركة الملائكة والانبياء والرسل والشهداء والقديسين . ونحن اذ نقصد الكنيسة ندخل بيت الله في أورشليم الجديدة. فالايقونات والمؤشرات الليتورجية وكلمة الله التي تتلى أمامنا ، كلها محبوكة بحياتنا اليومية في تعابيرها ، وبها نلمس السماء وندرك شفافية الكون للحضرة الالهية . واذ نعايش كل ذلك يوماً بعد يوم ، « تتقدس أرواحنا ، وتطهر اجسادنا ، وتتقوّم أفكارنا وتتنقّى نياتنا وننجو من كل حزن وشر ووجع ... فننزع الانسان العتيق ونلبس الجديد ... وهكذا ... نصل الى الراحة الابدية . حيث سكنى جميع الفرحين »[4] .

نور الشموع يتحدث بحرارة الايمان ، وحياة القديسين كتاب مفتوح أمامنا في الايقونات وفي ترانيم الليتورجيا ، والبخور الصاعد يجمع

المؤمنين في شركة وحدة مسكونية ويحمل صلاة يدي الكاهن المرفوعتين الى عرش الله . واشارة الصليب التي يرسمها الكاهن نحو الجهات الاربعة تحمل عالم المادة بأجمعه الى حضرة الله فيقدس بنعمته الالهية . وبمناسبة بعض الاعياد في صلاة الغروب يبارك الكاهن الزيت والخمر والقمح وبذلك يقدس ثمرة الارض ويذكر المؤمن ان كل ما ينتجه عمل يديه هبة مجانية من عند الرب .

والليتورجيا صلاة جمهورية تلقي المؤمن خارج نفسه ،خارج محيطه الاجتماعي والفكري والعائلي في شركة الكنيسة المجتمعة ، وترسله في الطريق مع المسافرين براً وبحراً وجواً ، والى سرير المرضى والمقعدين ، وتشمل في قربانها ذوي السلطة ،وشعوب الارض،والمسكونة بأسرها، وتطلب البركة على غلال الارض ، ثم تنتهي الى طلب حلول النعمة والبركة على كل هذه في شركة مسكونية جامعة . وفي هذه الشركة يتخطى الانسان ويجرف في تيار انعتاق الخليقة .

عندما يتكلم الكاهن في الليتورجيا ، فهو يتكلم باسم هذه الشركة المسكونية . لذا لا يجوز ان تتخذ الليتورجيا طابع صلاة فردية . ان حضور بضعة اشخاص مع الكاهن امر ضروري اذ به تحضر الانسانية بأجمعها امام الله .

والشركة الكهنوتية في الكنيسة الشرقية ليست محصورة باعضاء الاكليروس . فالمؤمنون والكهنة جسد واحد أتى ليسبح مجد الله . ويفسر لنا هذا لماذا رفضت الكنيسة استعمال الآلات الموسيقية في الليتورجيا اذ هي كناية عن عبارات موسيقية دون كلام . فاللغة المحكية التي تميز الانسان عن غيره من الكائنات هي وحدها اهل لان تخاطب الله اذ ان صوت الانسان وحده جدير بان يحاور الكلمة المتجسد.

الجوق في الكنيسة يترنم بصوت واحد مشاركاً بذلك جوق الملائكة في العبادة السماوية .

واذا كانت العبادة الليتورجية خدمة كما قلنا سابقاً[5] ، فهي خدمة الشعب السائر نحو الملكوت والذي يحارب من اجل مجيء الملكوت ويجاهد مع يهوه ضد كل من يقف حاجزاً في طريق اعلانه . معركة رفيديم تصور لنا شكل الخدمة الالهية[6] :

الكاهن أمـــام المذبح رافعاً يديه في الصلاة كموسى على رأس التلة رافعاً يديه لينتصر بنو اسرائيل على عماليق. والشمامسة وخدام القداس كهارون وحور اللذين دعمـــا يدي موسى فبقيتا ثابتتين حتى انتهاء المعركة . والكنيسة المجتمعة في شركـــة المعمودية كالرجال المنتخبين ليخرجوا مع يشوع ويحاربوا قوى عماليق . الليتورجيا معركة ضـد قوى الشر للوصول الى أرض الميعاد . « للرب حرب مع عماليق مـن دور الى دور »[7] والكنيسة مدعوة شعباً وكهنة وشمامسة لتخوض هذه المعركـــة . الكنيسة هي المذبح الذي بناه موسى « ودعا اسمه يهوه نسي »[8] هي ميدان المعركة وهي بذلك ميدان هزيمة عماليق وقومه .

الحواشي

١ — في صلاة الخميس العظيم صباحا
٢ — انظر في ذلك :

Paul Evdokimov, **L'Orthodoxie,** Delachaux et Niestlé, Paris, 1959, pp. 238-262

٣ — من افشين التسبيحة الشاروبيمية
٤ — رؤيا ٢١ : ١
٥ — في صلاة الساعة التاسعة
٦ — راجع في ذلك القسم الثاني في الجزء الاول
٧ — انظر خروج ١٧ : ٨ — ١٦
٨ — اي الرب رايتي . خروج ١٧ : ١٥

ركائز العبادة الليتورجية

الشكل الليتورجي

« اطلّع في قلوبنا نور معرفتك... وافتح حدقتي ذهننا لكي ندوس الشهوات الجسدية »[1] .

المعنى اللاهوتي للشكل الليتورجي

ان سر الشكل الليتورجي مرتبط بسر التجسد الذي هو محور صلاة الكنيسة . وفعل التجسد كالكلمة المتجسد . « علامة تقاوم ... وضعت لسقوط وقيام كثيرين »[2] . وهو صخرة عثرة[3] لانه يختلف كل الاختلاف عن أية صورة خيالية ينسجها الانسان عن الله. حتمية الشكل الليتورجي نابعة من حدث الميلاد الذي به أعلن الله انه يرفض ان ينفى عن العالم وعن رفقة آدم وارتدى لباس الجسد ليخلصه ويجذبه اليه . يهوه إله الضباب والزوبعة أضحى ملموساً ، مسموعاً ومشاهداً بيسوع الناصري . فالشكل الليتورجي صدى للتجسد . وهو حجر عثرة لمن ينظر اليه دون ايمان . وهو للمؤمن دليل ليثبت في ايمانه الى ان يعاين الله وجهاً لوجه في مجد الملكوت[4] .

والشكل الليتورجي ضروري في العبادة المسيحية لان الله أكد لنا في الصعود ان الخليقة باسرها قد أُهلت لتلتمس وجهه ، وانها في ذلك ليست بحاجة لان تتخلص من مادتها وكأن المادة والروح شيئان منفصلان ، بل لان تنعتق من الخطية . هذا ما نعنيه اذ نقول في صلاة المساء في خميس الصعود: « اخرج من الحبس نفسي لكي أشكر اسمك». ونقول في صلاة السحر أيضاً « ايها المسيح انك انحدرت من السماوات لحد الارضيين واقمت معك الصورة الادمية الملقاة أسفل في زوايا الجحيم ... وأصعدتها الى السماوات، وصيرتها معادلة في الجلسة لكرسي أبيك » .

« لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض »[٥] . لا تعني الوصية الثانية هذه اننا لسنا بحاجة الى شكل حسي للعبادة وان الصلاة الصامتة هي أفضل طريق الى الله . فالذي يرفض الشكل الخارجي للصلاة الجمهورية يرفض معه حكمة الآباء في مسيرتهم الى الله . ان مفتاح الوصية الثانية في القسم الثاني منها ، «لا تسجد لهن ولا تعبدهن »[٦] . اذ « قال الرب لموسى هكذا تقول لبني اسرائيل انتم رأيتم انني في السماء تكلمت معكم . لا تصنعوا معي آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب » . أي لا تطلقوا العنان لمخيلتكم لانني انا أتحدث اليكم الآن كلما اجتمعتم للذبيحة في اللحظة الحاضرة بشكل حسي، والا فلمَ أحدد لكم تفاصيل المذبح[٧]؟ وفي العهد الجديد أعطى الله شعبه صورة جديدة « مجد المسيح الذي هو صورة الله »[٨].لذا نقول نحن أيضاً «قد رأينا في الجبال المقدسة ارتفاعك أيها المسيح ، باشعاع مجد الآب فنسبّح شكل طلعتك المنيرة »[٩]. «هلموا نسمو بعقولنا » ... ونرفع النظر والحواس نحو الابواب السماويه .. ونشاهد الرب منقذنا راكباً على السحاب »[١٠] .

ان الشكل الليتورجي ضمان لمزايا الخليقة الجديدة في المسيح يسوع « ونحن جميعاً ، ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة ، نتغير الى تلك الصورة عينها من مجد الى مجد »[11] . والشكل في العهد الجديد مؤدّب الى الله ومرشد لنا في حرية الروح حتى ذاك اليوم الذي فيه « يرفع البرقع » عن أعيننا فنعاين الله[12] .

ابعاد التعبير الليتورجي

يهب الله نفسه لنا في القداس ويتقبلنا فيه ويحتضننا . فما هي أبعاد هذا اللقاء ؟ كيف يهب الله نفسه لنا وكيف يحتضننا ؟ الجواب على هذا التساؤل مدون بكل بساطة في الانجيل : يسوع يفتح ذهن الاغبياء والبطيئي القلوب[13] . وهو يفتح آذان الصم وأفواه البكم وعيون المكفوفين ، ويشفي المقعدين ، كما انه يكرز برسالته اذ يلمس المرضى ويدعهم يلمسونه .

وهذه الميادين الحسية لرسالة المسيح تؤلف بالفعل أبعاد التعبير الليتورجي. فالقداس فعل خدمة حية تشمل الانسان الكامل. والكاهن في القداس يلخص أبعاد التعبير الليتورجي اذ يقول سراً أمام المائدة المقدسة : « أشرق في قلوبنا نور معرفتك ... وافتح حدقتي ذهننا لادراك تعاليم انجيلك ، وضع فينا خوف وصاياك الالهية لكي ندوس كل الشهوات الجسدية ونسير سيرة روحية » . وهو بذلك يطلب للكنيسة المجتمعة ان تتحرر من الجهل وغلاظة القلب وفقدان الحس[15] لأجل « تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح الى ان ننتهي جميعنا الى وحدانية الايمان ومعرفة ابن الله . الى انسان كامل الى قياس قامة ملء المسيح »[16] .

فأبعاد التعبير الليتورجي الذي يصور الانسان الكامل هي اذاً اثنتان ، البعد النطقي والبعد الحسي العاطفي .

البعد النطقي

او التعبير الذي يفهم بالذهن . نعني بذلك ترجمة الانتفاض الروحي الى كلام محكي ، او ترجمة لغة الملائكة الى ألسنة الناس[١٧] ، لان انتفاض الروح بحد ذاته لا يحصر في كلمات وقواعد لغة . ونص الليتورجيا محاولة الكنيسة عبر الاجيال للتعبير عن نشوة اللقاء مع الاله المتجسد .

« ان العليقة غير المحترقة ، التي مازجت النار في سيناء، قد عرّفت الاله لموسى الالثغ اللسان والابح الصوت ... ان الالكن اللسان ، لما انحجب في الغمام الالهي ، كرز بالشريعة المدونة من الله ، لانه نفض الحمأة عن حدقة العقل ، فعاين الموجود ، واحرز المعرفة ، ناشداً لله تسابيح الهية »[١٨] .

« الألسنة تبلبلت قديماً بسبب جسارة صانعي البرج ، أما الآن فالألسنة نطقت بالحكمة لأجل مجد المعرفة الالهية ، هناك قضى الله بالعقوبة على الملحدين ، وههنا المسيح أنار بالروح الصيادين . في ذلك الحين صار اختلاف اللهجات للانتقام، والآن تجدد اتفاق النغمات لخلاص نفوسنا »[١٩] .

لغة الليتورجيا تعبير عن اندهاش النفس اذ تعاين الله ، وهي لغة الرسالة الى أهل أفسس او لغة نشيد مريم اذ نهضت للقاء اليصابات[٢٠] .

البعد الحسي

١ — البعد السمعي :

ان لغة الليتورجيا لغة محكية ، ولغة مرنمة ، ولغة صامتة . امـا اللغة المحكية فهي لغة الصلوات التي نقرأها ، ولغـة تلاوة الانجيل والتوراة ، وهي فضلاً عن ذلك لغة الوعظ والكرازة ، ولغة العقيدة المعلنة في قانون الايمان وفي الصلاة الربانية وفي المزامير وفي الانتيفونات. ولكل من هذه الميادين وتيرته ولهجته .

واللغة المرنمة ظاهرة في ترانيم الجوق وفي ترانيم خدام القداس الفردية. واللحن يحمل كلمات الصلاة من البُعد المنطقي ويرفعها الى بُعد الاسرار التي تحفظ في القلب[21] .

ان التلاميذ « معاينو لاهوت الابن ... أذاعوا أقوالهم عند الكل جهاراً كقيثارة موسيقية بآلة انغام »[22] . وترنيم الليتورجيا لغة الروح المعزّي الذي اعتقنا « نحن الذين هبت علينا النعمة الواردة من الله فأصبحنا مضيئين ولامعين ومتغيرين تغيراً بهياً فاتن الجمال » . اعتقنا من « اتفاق نغمات تلحين الآلات (الذي) قد دعا باضطراب الى عبادة التمثال الفاقد التنفس المصنوع من الذهب «لنسبح الرب ونرنم له ترنيمة جديدة »[23] .

والصمت في الليتورجيا سر من أسرار الايمان المسيحي. وهو اسمى تعبير عن الامتثال في سلام الرب اذ هو سكون الرب الآتي[24] . وهو موقف الابن المطمئن في حضرة أبيه ، يشير الى ان الكلام والتسبيح من مظاهر تشتت سكون الاتحاد بالله كما ان الألوان مظاهر تشتت النور .

ندخل هذا الصمت المقدس في الليتورجيا في التسبحة الشاروبيمية (الشيروبيكون) اذ نقول : « لنطرح عنا كل اهتمام دنيوي لكوننا مزمعين ان نستقبل ملك الكل مزفوفاً من المراتب الملائكية بحال غير

منظورة » . نعود بذلك الى اعماق أنفسنا أمـام الله في نسك فكري يطرح عنه كل اهتمام يتعرّى من كل نشاط منطقي وذهني ليدخل في غنى الملكوت الآتي في حضرة الله الممجد في صحو مقدس .

ان الصمت الذي نتكلم عنه هنا هو في حالة السلام الآتي من القلب ، من الداخل ، أمام الله . اننا به نسكت فينا الاحـاسيس والمشاعر الخارجية لنصحو داخلياً في سكينة « التسبيح المثلث تقديسه للثالوث المحيي » . النفس هنا صامتة ، تكتشف في شفافيتها الأشعة الالهية التي تحجبها عنها الاهواء وأمور الحياة اليومية الصاخبة . واذ تمتثل هكذا أمام الله ، تتغير النفس وتتحول « لامعة براقة » ، فلا يسعها الا ان تصلي ، وترنم ، وتتهلل ، وتنشد .

« هللويا . هللويا . هللويا » . هذه قمة التسبيحة الشاروبيمية ، وهي صوت الصمت الداخلي على عتبة الفردوس المستعاد حيث يسمع صوت الرب الاله ماشياً عند هبوب ريح النهار[٢٥] .

٢ — البعد النظري .

نقول في صلاة السحر في أحد الأعمى ، « انني اتقدم اليك أيها المسيح وانا مكفوف حدقتي نفسي كالأعمى منذ مولده أصرخ اليك تائباً : انت النور الفائق الضياء للذين في الظلام ... أيها المسيح ... كما شوهـدت بصلاحك على الارض مضاعفاً ، كذلك منحت السقماء أشفية مضاعفة ، لانك ما شفيت عيني جسم المكفوف من الحشا فقط ، بل وحدقتي نفسه أيضاً » .

اننا بيسوع المسيح ننظر « مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة »[٢٦] .

وبه نلمس الحق الذي يحرر بفرح وببساطة قلب يتفجران تهليلا وترنماً، «لان الذي قال ان يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لانارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح »[٢٧] .

ان مناجاة الله للنفس المؤمنة تنطلق من القلب ، من معرفة عاطفية وجودية تنبع من الداخل ، من قدس الأقداس الذي في أعماق كل واحد منا حيث دخل يسوع المسيح متسربلاً بالمجد الى ما وراء الحجاب[٢٨] . ونحن اذ نلتصق باسم يسوع ونتحد به بواسطة المناولة وقراءة الكلمة والصلاة ، نصحو الى مكالمته بوجه مكشوف في نسك داخلي ، فنعكس مجده وكأننا مرآة .

هذا هو بالأساس معنى الأيقونة : انها عبارة فنية عن حالة صحو شخصي لذكر الله في حياة نسك داخلي مرفوعة الى الله ذبيحة تسبيح دائم . فهي تعكس مجد المسيح على وجه قديسيه في فعل صلاة متواصل يترنم بجمال فني لا يدرك الا في القلب . به يجتاز القلب الى حالة نضج روحي ، فلا يسعه الا وان يترنم ويتهلل في حضرة الثالوث المحيي .

وموضوع الأيقونة الأساسي هو هذا النور الداخلي . انها تعلن ضياء القيامة المنعكس في حياة القديسين اذ «يضيء الابرار كالشمس» كما يقول لنا الانجيل[٢٩] . وفيها تصبح المخلوقات نيرة شفافة ، تقودنا بالتأمل الى معرفة الله اذ اننا من خلالها نعاين مجد الخليقة المعتوقة « في مرآة في لغز » على حد قول الرسول ، فنصل الى « الايقان بامور لا ترى »[٣٠] .

ان الله الآب المتجسد بيسوع المسيح قد اعتقنا من عبودية الشكل الوثني اذ أظهر لنا صورته . وسرّ الايقونة ينبع من سر التجسد الذي به أعلن لنا وجه الآب ، عمانوئيل ، الله معنا ، فأدركنا به ان الايقونة

المثلى هي الانسان اذ قد خلقه الله على صورته . الله يتجسد في الانسان الكامل،أي انه يعلن نفسه من خلاله بشكل محسوس وبلغة بشرية. وفي القداس ، يبخر الكاهن الشعب كما يبخر الايقونات معلناً بذلك ان الكنيسة تحيّي صورة الله في كل من أتى لينضم الى شعب الله في حضرة الآب المتجسد .

وتستمد الأيقونة معناها مما تشير اليه . وهي تشير الى ما لا يرى ، تحدده وتجعله في متناول « حدقتي النفس » أي في مرأى عين النفس الداخلية ، كما ان شكل المعبد يحدد المكان الجغرافي لتجسد الكلمة،وكما ان الشكل الليتورجي يحصر الفترة الزمنية لفعل التجسد . وهي بذلك تؤكد لعين الايمان حقيقة التسجد . لذا نقول في الأحد الأول من الصوم وهو معروف بأحد الايقونات : « ان سجودنا بحسن عبادة ، بغير تأله لأيقونة المتجسد هي مجد لنا ... نسجد سجوداً اكرامياً لأيقونة المسيح وأيقونة الفائق طهرها وصور جميع القديسين المرسومة على الجدران والألواح والأواني المقدسة ... لان اكرام الصورة يجوز الى عنصرها الاول كما يقول باسيليوس » .

فالأيقونة اذاً جزء لا يتجزأ من العبادة الليتورجية . ومعناها لا يكتمل الا في الليتورجيا اذ ان عبادة الكنيسة المجتمعة ما هي الا أيقونة تاريخ الفداء تجسده وتكمله في اللحظة الحاضرة . ونحن من خلال التراث الليتورجي الذي يحيط بالعقيدة المعلنة ويستمد شفافيته المحسوسة من الأيقونة ، ندخل الى قدس الأقداس ونلمس الملكوت الآتي في المسيح المتجسد وهو كاهن الى الأبد حسب رتبة ملكي صادق اذ انه المقرِّب والمقرَّب .

نقول في الشيروبيكون « أيها الممثلون الشاروبيم سرياً والمرنمون

التسبيح المثلث تقديسه للثالوث المحيي » ، وبذلك نعلن اننا متحدون بالمسيح المحاط بالملائكة الكثيري الأعين وذوي الأجنحة العديدة، ونحن في حضرة الثالوث أيقونات الملائكة ، متساوين معهم سرياً ، وعبادتنا هي أيقونة العبادة السماوية اذ بها ننضم الى الاجنـــاد السماوية مسبحين وهاتفين وقــائلين ، « قدوس ، قدوس ، قدوس رب الصباؤوت » ، نقرب الكون ذبيحة تسبيح حية أمام عرش الله : « التي لك مما لــك نقدمها لك على كل شيء ومن جهة كل شيء » .

هكذا يُحمل المؤمن لمخاطبة الله وجهاً لوجه ، وهو بــذلك محاط بالذين سبقوه الى اقدام عرش النعمة من رسل وشهداء وقديسين: « كنيسة المسيح تتلألأ الآن مزينة برفع أيقونات القـديسين ورسومهم المضيئة ، ويتّحد المؤمنون اتحاداً يحسن في عيني الله »[٣١] .

« ان كنيسة المسيح قد اتخذت زينة فائقة الاكرام بالايقونات الشريفة المقدسة ... وبها تبتهج مشرقة بالنعمة ... فالكنيسة تسربلت صورة المسيح المتجسمة كزينة فائقة العالم ... اذ نشاهد هيكلك موشحاً بنغم الايقونات الموقرة ببهاء ، نمتلىء باسرارنا فرحاً وحبوراً »[٣٢] . كل مــا يحيط بنا في الكنيسة يتحدث بمجيء الملكوت : فالقبة التي يعلوهــــا الصليب فوق « العرش » على المذبح هي ملتقى السماء بالارض . يدخل العالم السماوي الى المعبد ويملأه بمجد الابن المتجسد الذي يبدو محـــاطاً بالملائكة على جدار القبة الرئيسية . وشكل المعبد نفسه سيمفونية فنية توجه الانظار الى أيقونة العشاء الأخير التي تعلو الباب الملوكي . وايقونة العذراء من يمين الباب الملوكي تمثل الانسانية التي قد حررت من نـــير الخطيئة بفعل الفداء ، وهي تنتظر في طهارتها البتولية ان يحل الملكوت على الارض . انها « الكنيسة الارضية » اذا صح هذا التعبير ، تقــود المؤمنــين وتجمعهم الى جسد المخلص . وأيقونة الصليب التي تعــلو

الايقونسطاس تحول الانظار الى الشرق من حيث يأتي المسيح الممجد ليجلس على العرش فيتحد بالكنيسة العروس المنتظرة في بتولية طاهرة.

ان بناء المعبد اذاً يتشح بالمؤشرات الحسية منتظراً الملكوت وهو الذي يطلق عليه بولس الرسول اسم « بيت خيمتنا الأرضي » ، ونحن فيه « نئن مشتاقين الى ان نلبس فوقها مسكننا الذي في السماء... لكي يبتلع المائت من الحياة »[٣٣] .

وللبعد الحسي في العبادة اهمية عاطفية كبرى . فالجلوس والوقوف ، واشارة الصليب ، واضاءة شمعة ، ولمس الايقونات ، كل هذه تحمل الصلاة من البعد المنطقي حيث تدرك في الذهن الى القلب حيث تبصر بعين الايمان . يلزمنا كثير من التواضع لندرك انها ليست مجرد شكليات وانما هي اشتراك المؤمن الفعلي في صلاة الكنيسة بفرح وبساطة قلب اذ بها يعلن مجانية هبة الله ويشترك مع الكنيسة الجامعة الرسولية بمثابة حلقة وصل بين تراثها الماضي وحاضرها المكرس . فهو ، اذ يعيش ذلك التراث في بساطته وفي شكليته ، يؤكد استمراره ويثبته .

« اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم » [٣٤] . البعد الحسي للعبادة هو شيء مما يزاد لنا . وسنعود اليه عندما نتحدث عن البعد المكاني للعبادة . يكفينا هنا ان نقول انه ليس هدفاً بحد ذاته بقدر ما هو هبة مجانية نتلقاها ونحن شركاء النعمة في تراث الكنيسة الحضاري . وهو لباس النفس التي أتت لتدخل الى فرح سيدها فتقبل « الامور الالهية » التي تسلمها « الآباء القديسون بواسطة التقليد من الرسل الالهيين ومن الاناجيل الشريفة والتعاقب و ... نظموا كل شيء تنظيماً حسناً » . بها « نتلقف بعقول سامية اقوالاً فائقة من الكلمة الذي اياه نعظم » [٣٥] .

الحواشي

١ ــ من الافشين الذي يقوله الكاهن سرا وهــو واقف امــام المائدة المقدسة
٢ ــ لوقا ٢ : ٣٤
٣ ــ رومية ٩ : ٣٢ و ٣٣ ــ و ١ كورنتوس ١ : ٢٣ و ٢٤
٤ ــ ١ كورنتوس ١٣ : ١٢
٥ ــ خروج ٢٠ : ٤
٦ ــ خروج ٢٠ : ٥
٧ ــ خروج ٢٠ : ٢٢ وما يتلوها . انظر في ذلك ايضا

William D. Maxwell, **An Outline of Christian Worship,** Oxford University Press, London, 1963.

٨ ــ ٢ كورنتوس ٤ : ٢٤ ــ وكولوسي ١ : ١٥
٩ ــ في صلاة المساء في خميس الصعود
١٠ ــ في صلاة السحر في خميس الصعود
١١ ــ ٢ كورنتوس ٣ : ١٨
١٢ ــ ٢ كورنتوس ٣ : ١٦
١٣ ــ لوقا ٢٤ : ٢٥ ــ ٢٧ و ٤٥
١٤ ــ انظر في ذلك متــى ٩ : ١٨ و ١٩ : ١٥ ، ولوقــا ٤ : ٤٠ ، ومتى ٨ : ١٥ و ٩ : ٢٩ ، ومرقس ٧ : ٣٣ و ١٠ : ٣١ ، ولوقا ٧ : ١٤ ، ومتى ٩ : ٢٠ وما يتلوها و ١٤ : ٣٦ ، ومرقس ٣ : ١٠ ، ولوقــا ٦ : ١٩ و ٧ : ٣٩ و ٢٤ : ٣٩ . ويوحنا ٢٠ : ١٧ و ٢٧ ، و ١ يوحنا ١ : ١
١٥ ــ افسس ٤ : ١٨ و ١٩
١٦ ــ افسس ٤ : ١٢ و ١٣
١٧ ــ انظر في ذلك ١ كورنتوس ١ : ١٣ ، و ١٢ : ١٠ ، و ١٤ : ٢ و ٩ و ١١ و ١٣ و ١٨
١٨ ــ في صلاة السحر في احد العنصرة
١٩ ــ في صلاة احد العنصرة
٢٠ ــ لوقا ١ : ٤٦ ــ ٥٥
٢١ ــ لوقا ٢ : ٩ انظر ايضا لوقــا ٢٤ : ٣٢ ، و ٢ كورنثــوس ٦ : ١١ ، وارميا ١٧ : ١ ، وهوشع ٤ : ٨ و ١٣ : ٦ وزكريا

١٠ : ٧ ، وحزقيال ٢٨ : ١٧
٢٢ — في صلاة السحر في احد العنصرة
٢٣ — في صلاة السحر في احد العنصرة انظر ايضا مزمور ٣٣ : ٣ و ٤٠ : ٢٣ ، واشعياء ٤٠ : ١٠
٢٤ — انظر في ذلك مزمور ٣٧ : ٧ ، واشعياء ٤١ : ١ ، ومراثي ارميا ٣ : ٢١ ، وحبقوق ٢ : ٢٠ ، وصفنيا ١ : ٧ ، ومرقس ٤ : ٣٩ ، ورؤيا ٨ : ١
٢٥ — تكوين ٣ : ٨
٢٦ — ٢ كورنتوس ٣ : ١٨
٢٧ — ٢ كورنتوس ٤ : ٦
٢٨ — عبرانيين ٦ : ١٩ — ٢٠
٢٩ — متى ١٣ : ٤٣
٣٠ — عبرانيين ١١ : ١
٣١ — من صلاة السحر في الاحد الاول للصوم
٣٢ — من القداس في الاحد الاول للصوم
٣٣ — ٢ كورنتوس ٤ : ١ — ٤
٣٤ — مرقس ١٦ : ٧ و ١٤ ، ولوقا ٢ : ٢٦ و ١٩ : ٣ ويوحنا ٦ : ٤٠ و ١٢ : ٤٥ — ٤٦ ، و ١٤ : ٩ و ٢٠ و ٢٧ ، و ١ يوحنا ١ : ١
راجع في ذلك ايضا :
Richard Paquier, op. cit., pp. 20 et suivantes
٣٥ — متى ٦ : ٢٣

تطور الشكل

العبادة الليتورجية ما بين القرن الاول والرابع للميلاد [1]

القرن الاول

دُوّن نص العهد الجديد قبل ان تصل عبادة الكنيسة الاولى الى شكل ناضج ومستقر. ولكن رغم ذلك فالكتاب المقدس يلقي ضوء على شكل العبادة الليتورجية كما وصلت الينا عبر الاجيال. فكتاب أعمال الرسل، والرسائل المختلفة، وكتاب الرؤيا تحتوي على المؤشرات الأساسية لفهم الشكل الليتورجي. وفيها تظهر الركائز التاريخية لفعل العبادة في أربعة أركان:

الركن الاول هو العبادة في « الكنيس » أو المجمع وفي الهيكل، اذ ان المسيحيين واظبوا في الفترة الاولى من نشأة الكنيسة على حضور المجمع وعلى زيارة الهيكل في أورشليم.

والركن الثاني هو « مائدة المحبة » أو الوجبة المشتركة التي كان يتناولها المسيحيون الاولون بانتظام كلما اجتمعوا.

والركن الثالث هو العشاء الافخاريستي الذي كان يتلو مائدة المحبة، وقد أتى طبقاً لوصية المسيح في العشاء الاخير مع تلاميذه في العلية .

والركن الرابع هو التكلم بالالسنة والنبوءات بعد العشاء الافخاريستي .

وفي منتصف القرن الثاني زال الركن الثاني والرابع من صلاة الكنيسة المجتمعة لترتكز العبادة حول عبادة الكنيس وحول تراث العشاء الاخير في العلية . لذا سنتحدث عن هذين الركنين في ما يلي لنرى كيف اجتمعا ليؤلفا صلاة الكنيسة .

أمتازت اجتماعات الكنيس بتلاوة الكتب المقدسة وتفسيرها في جو من التسبيح والشكر . ويسوع نفسه كان يقصد الكنيس بانتظام كما يقول لنا الانجيل. وأما بولس الرسول فأنه كان يذهب رأساً الى الكنيس متى نزل مدينة جديدة . وعاش المسيحيون الاولون حياة الكنيس وطقوسه اذ انه المكان الذي كانوا قد نشأوا فيه . وعندما أرغموا على مغادرته حافظوا على حياته الطقسية في اجتماعاتهم .

وأما صلاة الهيكل فلم يكن لها تأثير ملموس في صلاة الكنيسة الاولى وذلك لسببين رئيسيين. السبب الاول هو ان معظم بني اسرائيل بعد السبي لم يعرفوا صلاة الهيكل قط . وفي بداية القرن الاول، في أرض فلسطين نفسها، كان الكنيس قد حل محل الهيكل كنقطة استقطاب للمصلين . وفضلاً عن ذلك لم يهتم المسيحيون الذين لم ينحدروا من أصل يهودي بصلاة الهيكل . والسبب الثاني هو ان السلطات الرومانية دمرت الهيكل عام ٧٠ للميلاد ولم يعد بناؤه . وأما الكنيس فهو ما يزال الى اليوم محور الصلاة الجمهورية .

لا نستطيع ان نحدد بالضبط كيف نشأ الكنيس، لكن من

الارجح انه بدأ ينتشر زمن السبي نتيجة لحاجة الشعب الى ان يظل على صلة وطيدة بكتبه المقدسة. وفي أوائل القرن الاول كان الكنيس محور حياة المجتمع اليهودي اينما وجد ، من حدود بلاد فارس الى أقصى الامبراطورية الرومانية في الغرب .

وكان هدف الكنيس الاساسي تلاوة الشريعة وتفسيرها . لذا ارتكزت صلاة الكنيس على قراءة الشريعة ، بالعبرية أولاً ثم بلغة البلاد ، يتلوها شرح ونقاش . ونشأت تدريجياً ترانيم وصلوات متعددة حول هذا الحديث الرئيسي . وهكذا ألفت المزامير الجزء الاكبر من صلوات الكنيس وكانت تنقل مشافهة من جيل الى جيل الى ان دونت تدويناً نهائياً ما بين القرن الرابع والخامس للميلاد . ثم حوالي القرن الاول أضيفت تلاوة النبوات في اجتماعات الكنيس . ودخلت هذه كلها في عبادة الكنيسة الاولى ولكنها أخذت تدريجياً تكتسب شكلاً جديداً لانها نبعت من نظرة جديدة الى حضور الله وسط شعبه .

أعطت الكنيسة المرتبة الاولى للنبوات لا للشريعة ، ثم أدخلت في اجتماعاتها تلاوة أخبار الكنائس المختلفة التي كانت ترد بشكل رسائل، ثم تلا ذلك أضافة أقوال المسيح المتداولة وتفاسيره للعهد القديم ونبذات عن حياته في البشرة . وعندما جمع محتوى العهد الجديد في نص محدد ، الفت الاناجيل المصدر الرئيسي لتأملات الكنيسة . وواصل المسيحيون الاولون استخدام المزامير ولكنهم الّفوا تسابيح اضافية جمعوها بها كما بقيت صلوات الكنيس في متداول الكنيسة الاولى الى ان نشأ تراث جديد وسط الذين آمنوا بالكلمة المتجسد .

وأضافت الكنيسة الاولى الى صلاة الكنيس ذكرى العشاء الاخير في العلية . كان المؤمنون يجتمعون معاً لكسر الخبز في اليوم الاول من

الاسبوع تأكيداً لانتصار القيامة . ولم تشغلهم عن يقين القيامة نظريات حول كيفية حضور المسيح في العشاء الافخاريستي . كانوا يجتمعون لانهم على يقين من ان المسيح في وسطهم ممجد وجالس عن يمين الآب .

هكذا نرى ان صلاة الكنيسة الاولى قامت على استمرار صلاة الكنيس ولكن في وعـاء جديد مستمد من العشاء الافخاريستي الذي أكدّ حضور يهوه وسط شعبه في المسيح يسوع الكلمة المتجسد . وفي أواخر القرن الاول ، ارتكزت صـلاة الكنيسة حول المعطيات الأساسية التالية :

أ — المؤشرات التي تعود الى تراث الكنيس :
تلاوة الكتب المقدسة [٢]
المزامير والتسابيح [٣]
الصلوات المشتركة [٤]
آمين الشعب [٥]
وعظ أو تفسير [٦]
اعلان اصول الايمان المسيحي [٧]
التقدمة للمعوزين [٨]

ب — المؤشرات التي تنبع من تراث العشاء الاخير [٩] :
صلاة الشكر والتكريس [١٠]
ذكرى الصلب والقيامة [١١]
الصلاة من اجل الغير ومن اجل العالم [١٢]
الصلاة الربانية [١٣]
ترانيم وتسابيح وقبلة السلام [١٤]

وكان الرجال والنساء يجلسون في أماكن مخصصة لهم كما هي الحال في الكنيس ، كان الرجال مكشوفي الرأس ، والنساء مستترات [١٥] . واما الصلوات فكانت تتلى وقوفاً [١٦] .

العشاء الاخير والعشاء الافخاريستي :

ينسب العشاء الاخير ، عادة ، الى عيد الفطر أو فصح اليهود كما هو مذكور في الاناجيل [١٧] . ولكن على ضوء ما نعرفه عن عادات البيئة اليهودية في القرن الاول ، فأنه من الارجح ان يكون العشاء الاخير في العلية آخر اجتماع للتلاميذ بصحبة السيد كما كانوا يفعلون مساء كل عيد. وهذا العشاء الذي كان يعرف بـ « القدّوش » (Kiddush) هو وجبة بسيطة يتناولهـــا معلم للشريعة والتوراة ومعه تلاميذه وأتباعه تهيئة للسبت أو لعيد ما ، ويسبقها عادة نقاش ديني . وكانت الوجبة مؤلفة من خبز عادي وخمر ممزوج بماء يتناوله الجميـع من كأس واحـــدة ثم يختمون اجتماعهم بالصلاة .

ومن الارجح ان العشاء الاخير لم يكن عشاء الفصح بحد ذاتــه بل كان عشاء أعدادياً لعيد الفصح اذ انه لو كانعشاء الفصح لما حوكم يسوع وصلب الا بعد مضي العيد حسب العادات السائدة . ولو كان العشاء الاخير عشاء الفصح ، لكان يسوع وتلاميذه قد تناولوه كل في بيته مع عائلته اذ ان الفصح اليهودي عيد عائلي . وامـــا القدّوش فكان يجمع المعلم وتلاميذه فقط في جو نقاش . وقد خلا العشاء الاخير في العلية من الحمل المقدم ذبيحة تذكاراً للخلاص من عبودية مصر كما خلا من خـــبز الفطير الذي كان يقدم على مائدة الفصح . وتناول الجميع الخمر من كأس واحدة كما في القدّوش .وخلال عشاء الفصح كان رب العائلة يتلو مقطع التوراة الذي يتحدث عن الخروج من مصر . وأما العشاء الاخير فقد خلا من ذلك .

هنالك ميزة أخيرة تؤكد لنا ان العشاء الاخير لم يكن عشاء الفصح وهي ان تلاميذه كانوا يجتمعون باستمرار بعد الصعود مرة في الاسبوع « لكسر الخبز » ، كما كانت عادتهم في القدّوش . وأما الفصح فهو عيد سنوي وليس حدثاً أسبوعياً [١٨] .

تطور الشكل الليتورجي ما بين القرن الثاني والرابع للميلاد .

لم تتخذ الليتورجيا شكلاً نهائياً ثابتاً قبل أواخر القرن الرابع . ونلقي في ما يلي لمحة سريعة عن تطور الشكل الليتورجي في القرن الثاني الى الرابع عسى ان ينير لنا ذلك فهم مراحل القداس الالهي كما وصلت الينا بشكلها الحالي . ورغم تطور تفاصيل الليتورجيا فأنها حافظت على المرحلتين الاساسيتين اللتين ذكرناهما هنا ، المرحلة الاولى وهي مستمدة من صلاة الكنيس وقد عرفت في ما بعد بقداس الموعوظين، والمرحلة الثانية المستمدة من تراث العشاء الاخير وقد عرفت في ما بعد بقداس المؤمنين .

القرن الثاني [١٩]

الجزء الاول : قراءات من النبوات والرسائل والاناجيل
تفسير القراءات والوعظ
صلوات مشتركة
مزامير وتسابيح

الجزء الثاني : قبلة السلام
التقدمة : جمع التبرعات للفقراء
تقدمة الخبز والخمر
صلاة التكريس أو التأسيس

صلاة شكر تتناول الشكر على الخليقة والعناية الالهية والفداء
ذكرى موت الرب
تقدمة هدايا وعطايا مختلفة
صلوات من اجل الغائبين
آمين الشعب
كسر الخبز
الاشتراك في عشاء الرب
البركة .

القرن الثالث [٢٠]

الجزء الاول : قراءات من الشريعة والنبوات والرسائل وأعمال الرسل والاناجيل ورسائل الكنائس.
مزامير
هللويا
الوعظ
صلاة الشماس من اجل الموعوظين
خروج الموعوظين .

الجزء الثاني : صلاة الشماس من اجل المؤمنين والصلاة من اجل الغائبين والراقدين في الرب .
قبلة السلام
التقدمة : جمع التبرعات للفقراء
تقدمة الخبز والخمر
تجزيء الخبز ومزج الخمر بالماء

الاستعداد للتأسيس
صلاة التأسيس: التقدمة او الاستعداد اقانون الشكر .
صلاة التقديس أو التريصاجيون
قانون الشكر
كلام التأسيس
ذكرى موت الرب
استدعاء الروح القدس
الصلاة الكبرى من اجل الاحياء والاموات في الرب .
الصلاة الربانية
كسر الخبز
رفع الكأس ومناولة الكهنة
مناولة الشعب بينما يرنم الجوق مزمور ٦٣ و ٣٤
الشكر بعد المناولة
صلاة الشماس والكاهن
أرسال الخبز للمرضى وللغياب
منح البركة والخروج .

القرن الرابع [٦١]

الجزء الاول : صلوات توطئة
قراءات من الشريعة والنبوات والرسائل وأعمال الرسل والاناجيل تتخللها مزامير يغنيها الجوق.
الوعظ
صرف الموعوظين في أربع دفعات

الجزء الثاني : الصلاة لاجل المؤمنين

الطلبة السلامية

قبلة السلام

التقدمة : الكاهن والشماس يغسلان يديهما

تقدمة الخبز والخمر

ترتيب لبس الكاهن

ترتيب المائدة

الاستعداد للتأسيس

صلاة التأسيس: التوطئة (صلاة الشكر)

صلاةالتقديس أو التريصاجيون

قانون الشكر

ذكرى مـــوت الرب : كلام

التأسيس

التقدمة

استدعاء الروح القدس

الطلبة السلامية الكبرى

الصلاة الربانية

أفاشين

رفع الكأس

المجد لله في الاعالي ... (لوقا ٢ : ١٤)

مبارك الاتي باسم الرب والله الرب ظهر لنا

الاستعداد للذبيحة والذبيحة

مناولة القرابين وخلال المناولة يرنم الجـــوق

المزمور ٣٤

صلاة الشكر يتلوها الشماس

مناولة الكاهن وصلاة الشكر بعد المناولة
منح البركة
الشماس يصرف الشعب .

وحددت المجامع الكنسية في القرن الرابع هيكل الشكل الليتورجي فلم يطرأ عليه تغيير جذري بعد ذلك في ما يتعلق بما أدخل عليه من تفاصيل تعود الى تقاليد الكنائس المحلية .

الحواشي

١ — انظر في ذلك : Maxwell, op. cit., pp. 1-33

٢ — ١ تيموثاوس ٤ : ١٣ ، و ١ تيسالونيكي ٥ : ٢٧ ، وكولوسي ٤ : ١٦

٣ — ١ كورنثوس ١٤ : ٢٦ ، وافسس ٥ : ١٩ وكولوسي ٣ : ١٦

٤ — اعمال ٢ : ٤٢ ، و ١ تيموثاوس ٢ : ١ — ٢

٥ — ١ كورنثوس ١٤ : ٢٦ ، واعمال ٢٠ : ٧

٦ — ١ كورنثوس ١٤ : ٢٦ ، واعمال ٢٠ : ٧

٧ — ١ كورنثوس ١٥ : ١ — ٤ ، و ١ تيموثاوس ٦ : ١٢

٨ — ١ كورنثوس ١٦ : ١ — ٢ ، و ٢ كورنثوس ٩ : ١٠ — ١٣ ، ورومية ١٥ : ٢٦

٩ — ١ كورنثوس ١٦ : ١٦ و ١١ : ٢٣ ، ومتى ٢٦ : ٢٦ — ٢٨ ، ومرقس ١٤ : ٢٢ — ٢٤ ، ولوقا ٢٢ : ١٩ — ٢٠

١٠ — لوقا ٢٢ : ١٩ ، و ١ كورنثوس ١١ : ٢٣ و ١٤ : ١٦ ، واتيموثاوس ٢ : ١

١١ — اعمال ٢ : ٤٢ ، ولوقا ١٢ : ١٩ ، و ١ كورنثوس ١١ : ٢٣ و ٢٥ و ٢٦

١٢ — يوحنا : ١٧

١٣ — متى ٦ : ٩ — ١٣ ، ولوقا ١١ : ٢ — ٤

١٤ — رومية ١٦ : ١٦ ، و ١ كورنثوس ١٦ : ٢٠ ، و ١ تيسالونيكي ٥ : ٢٦ ، و ١ بطرس ٥ : ١٤

١٥ — ١ كورنثوس ١١ : ٦ و ٧

١٦ — فيلي ١ ٢٧ ، وافسس ٦ : ١٤ ، و ١ تيموثاوس ٢ : ٨

١٧ — متى ٢٦ ، ومرقس ١٤ ، ولوقا ٢٢ ، ويوحنا ١٨

١٨ — راجع في ذلك :
Maxwell, op. cit., pp. 5-7, 26-43 and 123 ss.

١٩ — Ibid., pp. 11-14

٢٠ — Ibid., pp. 14-26

٢١ — Ibid., pp. 26-33

البعد الزمني للعبادة

« وقت ليَعْمَل فيه الرب »

ايقاع الخدمة الليتورجية [1]

نعني بالخـــدمة الليتورجية مجموعة الطقوس والصلوات التي تؤلف اطار عبادة الكنيسة . انهـا تحتوي اولا على الخدم الدورية (الصلوات اليومية والاسبوعية والسنوية) المطابقة لايقاع الزمن ، وتحتوي ايضا على الخـــدم التقديسية (أسرار الكنيسة ، افاشين التبريك والتدشين والتقديس ...) التي تقدس وجود الانسان . فهي اذن بمثابة وسط او مكان نمو المؤمنين معا في اعداد داخلي وفي التزام نسكي وروحي في جهد الأفودا Avoda التي تكلمنا عنها سابقا [2] .

والخدمة الايقاعية المرافقة لسير الزمن ، زمن الخليقة الارضي، تمثل بالحقيقة سرّي الخلق والتجسد كما يلتقيان في المسيح واجتماعهما في مسيرة منتظمة نحو الملكوت .

الخليقة بأسرها مدعوة لان يتبناها المسيح ويملأها . ولكن التجسد الالهي يعني قبل كل شيء دخول الله في الزمن . فالزمن هـــو العلامة الخاصة بالـكائن المخلوق ، هو ختمه . واما الله فهو خارج الزمن « منذ الازل الى الابد » [3] اذ «ان يوما واحدا عند الرب كألف سنة ، وألف سنة كيوم واحد » [4]. والخدمة الالهية ترافق ايقاع الزمن لكي تحمل اليه

المسيح الاله وتعلن فيه على الدوام حقيقة حدث التجسد الالهي والخلاص الذي اتى به للعالم .

الخدمة الالهية اذن تجعل فعل التجسد حاضرا . بالخدمة نحيا يوما بعد يوم ، بل نحيا كل ساعة تدبير المسيح الخلاصي حاضرا في الكنيسة اليوم . وهي مرتبة حسب الادوار الرئيسية الثلاثة للزمن : الدور اليومي ، والدور الاسبوعي ، والدور السنوي .

الدور اليومي

ان اليوم يؤلف كلا بحد ذاته . فيه تتم دورة كونية صغيرة . « كان مساء وكان صباح ... » يقول الكتاب عند روايته لايام الخلق . اما ترتيب الخدمة اليومية فهو يجمع ثلاثة صعد معا : صعيد الخلق (بدء الكون وسقوط آدم) ، وصعيد الفداء (تجسد المسيح لانهاض آدم) ، وصعيد التقديس (سيرنا الشخصي في طريق خطى المسيح) . وتتضمن الخدمة اليومية سبع « تسابيح » ، « سبع مرات في النهار سبحتك على احكام عدلك » [5] :

١ — في ابكر اوقات السحر ، في الساعة الاولى ، ساعة القيامة ، نقف لنقدم لله قبل اي عمل آخر أولى حركات قلبنا ونفسنا كولادة يومية جديدة وكقيامة .

٢ — وفي الساعة الثالثة (اي حوالي التاسعة صباحا) نصلي الى الرب لننال نحن ايضا الهام الروح القدس في الساعة التي انحدر فيها على الرسل .

٣ — وفي الساعة السادسة (الثانية عشرة ظهرا تقريبا) نجتمع لنطلب الحماية من اخطار شيطان نصف النهار ونجرح نفوسنا بمحبة الله في الساعة عينها التي صلب فيها .

٤ – وفي الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر تقريبا) ساعة موت الرب على الصليب ، نمجد الرب لاعادته خلق العالم بموته .

٥ – وفي ساعة الغروب ، عند غروب الشمس ، نشكر الله برفع ايدينا في نور الثالوث البهي من اجل النعم التي ننالها خلال النهار .

٦ – وعند انطلاقنا الى النوم نلتمس غفران الخطايا التي اقترفناها في اثناء النهار ونطلب حمايتنا من التجارب الليلية سائلين الرب قلبا مستيقظا رغم ثقل النوم .

٧ – وفي نصف الليل نقدم نهوضنا كقربان من اجل لقاء الرب السرّي اذ انه سوف يأتي في نصف ليل الخطايا والنسيان ليدين العالم بنوره .

وتلخّص هذه التسابيح السبعة تاريخ الفداء، كما انها تمثّل حياة السيد على الارض وذلك في ايقاع واضح تشير اليه كلمات الصلوات نفسها :

نختتم صلاة نصف الليل وصلاة السحر ايام الصوم ببشارة الملاك لمريم اذ بها يرقد الكلمة المتجسد بين ذراعي الانسانية . التجسد والقيامة مرتبطان هنا معا يشدان الزمن في فعل فداء يتجدد كل صباح .

وبين الساعة الثالثة والتاسعة ننتقل من حدث انسكاب الروح على الكنيسة المجتمعة في ألسنة نار يوم العنصرة ،مرورا بتجارب الكنيسة الساهرة والمجاهدة وهي تنتظر مجيء سيدها الثاني ، لنعود فنمتثل في حضرة الله الاحد . نعود الى زمن العهد القديم اذ نقف مع الكاهن امام الباب الملوكي خارج الهيكل ونقول « تبارك الله الهنا » . ثم نعلن معه بشارة العهد الجديد في الصلاة للاله الكلمة المتجسد. ويفتح حينئذ الباب الملوكي لتتصل من خلاله الارض بالسماء فيتحد بذلك العالم المنظور بالذي

لا يدرك، وتتحد الكنيسة المجتمعة بالقوات السماوية في التسبيح والعبادة. « قدوس الله ، قدوس القوي ، قدوس الذي لا يموت » . بهذا يشترك الشعب مع طغمات الملائكة في تسبيحها الازلي . ويطوف الكاهن في الكنيسة وامامه الشماس حاملا شمعة مضاءة . ويمثل البخور المتصاعد روح الله الذي كان يرفرف على المياه قبل فعل الخلق ، واما نور الشمعة فانه يمثل الكلمة الخلاقة « ليكن نور » . ويقفل الباب الملوكي ، ويدخل الكاهن من الباب الصغير ومعه نحن ايضا ندخل رمزيا الى حضرة الله من الباب الضيق بعد ان يكون رب البيت قد اقفل الباب [٦] .

وفي صلاة الغروب تتغنى الخليقة بمجد الخالق في المزمور ١٠٣ « باركي يانفسي الرب ، ايها الرب الهي ، قد عظمت جدا ... » وبه نحمل الى جنة عدن حيث كان الانسان يخاطب الله وجها لوجه بفرح وببساطة . ثم نمرّ من خلال المزمور الاول الى الثامن بفعل السقوط ونطرد من الجنة مع آدم فيقفل الباب الملوكي في وجهنا مع وعد خلاص : « من هو الانسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده ... ايها الرب سيدنا ما امجد اسمك في كل الارض » .

ويصرخ الانسان في غربته الى الله « من الاعماق صرخت اليك يارب يارب استمع لصوتي » (المزمور ١٤٠ و١٤١ و١٦٩) . ويتلو ذلك حوار بين المرتل والجوق يتجاوبان باقوال من العهدين، وننتقل نحن معها ذهابا وايابا من الدعاء في الشدة والضيق الى فرح العهد الخلاصي . وبهذا الحوار يطل الله على العالم فيعلن سر التجسد في الصلاة التي تتغنى بالعذراء رمز الانسانية التي حملت الكلمة المتجسد .

ويخرج الكاهن من الهيكل قائلا « حكمة » . وهذا سلام للكلمة الآتي الى العالم . ثم تلي المجدلة الكبرى ، « المجد لك يا مظهر النور » .

الكلمة صار جسدا ورأينا نوره ، فيعلن الكاهن مع سمعان « اليوم صار الخلاص للعالم » . وبهذا ننتقل من العهد القديم الى العهد الجديد .

هكذا نسير كل يوم في طريقنا الى فعل الفداء في القداس الالهي ، نستعيده كل يوم اذ نعايش كلا من احداث الخلق والسقوط والتجسد والفداء . نطرد من الفردوس كل يوم ، ونعود اليه كل يوم . وهذه التسابيح اليومية تنتهي وتتوّج بسر الشكر ، اي بتناول جسد الرب ودمه .

محور عبادة الكنيسة هو فعل الفداء هذا الدائم التكرار . وكما ان الله قد اسس سر الزواج مرة والى الابد في جنة عدن ولكن كل زواج يحَقّقُهُ ، يكرِّره ، يجسِّده ، يدْخِله في الزمن ، في حياة الانسان ، هكذا فان فعل الفداء قد تم مرة والى الابد على الجلجثة ولكنه يدخل حياتنا اليومية ويفتديها كلما اكلنا الخبز وشربنا الخمر حسب قول السيد . في السر نتخطى الزمن ونفتديه ونرفعه الى مرتبة الازلية .

يقول القديس باسيليوس : « ان الرهبان المقيمين في الصحراء حيث لا كهنة يحفظون القرابين الطاهرة عندهم ويتناولونها بأنفسهم . كما ان العوام في الاسكندرية ومصر يحفظون غالبا القرابين المقدسة في بيوتهم ويتناولون عندما يريدون »[٧] . ان المجامع المسكونية التي عقدت بعد القرن الرابع حددت نظام الخدمة الليتورجية وخصصت ايام الاسبوع التي يمارس فيها سرّ الشكر [٨] . لن ندخل هنا في الجدل القائم حول تطور العبادة من مائدات المحبة او الوجبة المشتركة التي كانت تجمع المسيحيين الاولين « ليذكروا موت الرب الى ان يجيء » الى شكلها الحالي الذي نعرفه في القداس الالهي . ولكن ما نودّ توضيحه هو ان سر الشكر هو بمثابة فعل تقوم به الكنيسة المجتمعة لتفتدي الوقت .

وهو يتخطى الزمن التاريخي الى ما وراء التاريخ حيث يقف الزمن على عتبة الابدية .

« اقبلني اليوم شريكا لعشائك السري يا ابن الله » . « اليوم » هنا هو يوم الرب الذي يخرج بنا الى ما قبل التاريخ وبعده الى اقدام الحمل المقرّب من قبل ان يخلق العالم فدية لاجلنا ، والذي دخل التاريخ في الصلب والقبر والقيامة . ونحن به نتخطى التاريخ كلما اقمنا سر الشكر ، ا كان ذلك في القداس الالهي ، ام في احد الاعياد ، ام في اي وقت آخر او ساعة اخرى من الليل او من النهار ، اذ به قد دعينا لنفتدي الوقت [٩] .

الدور الاسبوعي

وتتم دورة ليتورجية كاملة كل اسبوع قياسا على سبعة ايام الخلق . ولكن الدور الاسبوعي هو في الحقيقة «ثماني» لأن سير الليتورجيا خلال سبعة ايام يصل الى « اليوم الثامن » ، الى الاحد ، الفصح الاسبوعي الذي هو في زمن الله . ففي المفهوم الليتورجي ينتهي كل دور في يوم ثامن ، في سبت جديد غير سبت الخلق [١٠] .

هناك اذن انقطاع بل فاصل بين زمن الخلق وزمن التجسد : كل منهما في مستوى خاص به ، ولكنهما يتصلان في الليتورجيا اذ بها يدخل الاله الازلي في التاريخ وندخل نحن في راحته الازلية .

وكل يوم من ايام الاسبوع يدعونا لكي نعيش هذا البعد وهذا الاتصال بين الزمنين ، بين سر الخلق وسر التجسد :

يوم **الاثنين** موضوع تحت اسم الملائكة ، باكورة الخليقة .

ويوم **الثلاثاء** يقيم شفاعة يوحنا المعمدان الذي انتهت اليه البشرية قبل المسيح ، وهو يجسد انتظارنا الايجابي للمخلص .

ويوم **الاربعاء** يرمز الى رفض العالم القديم للمسيح في شخص يهوذا الذى تآمر يوم الاربعاء مع رؤساء الكهنة لتسليمه .

ويوم **الخميس** مخصص للرسل ، باكورة العالم الجديد في المسيح ، ولرؤساء الكهنة خلفائهم في شخص القديس نيقولاوس رئيس اساقفة ميرا لكية العجائبي .

ويوم **الجمعة** هو يوم صلب المسيح من اجل خلاص العالم .

ويوم **السبت** مخصص لوالدة الاله وللقديسين المنتقلين الى المجد ، ونفوس جميع الراقدين على رجاء القيامة .

ويوم **الاحد** هو يوم القيامة .

ولا بد لنا هنا من ان نذكر المرتبة الخاصة التي وضعت فيها الكنيسة الاولى يومي الاربعاء والجمعة اذ ُفرِزا عن سائر ايام الاسبوع وذلك لسببين اساسيين :

السبب الاول يتعلق بنظرة الكنيسة الاولى لنفسها كشعب الله الجديد. من المعروف ان التراث العبراني كان يشير بالصوم يومي الاثنين والخميس من كل اسبوع ، ومن المحتمل ان تكون كنيسة القرون الاربعة الاولى قد ابدلتها بيومي الاربعاء والجمعة حرصا منها على ان تميز نفسها كشركة في المسيح .

ومن ناحية اخرى اتى الصوم الاسبوعي في مرحلتين ترمزان كلتاهما

الى رفض الشعب اليهودي لماسيا ، يوم الاربعاء ، يوم تسليمه الى رؤساء الكهنة ليحاكم ، ويوم الجمعة ، يوم صلبه [١١] . وهـذا يقودنا الى السبب الثاني وهو مفهوم الصوم في الكنيسة الاولى وعلاقته بسر الشكر .

يشير القديس باسيليوس الكبير الى ان سر الشكر كان يمارس يومي الاربعاء والجمعة اذ يمتنع المؤمنون عن تناول اي نوع من الطعام طيـلة النهار وحتى الساعة التاسعة [١٢]. وقد ذكرنا سابقا في حديثنا عن الدور اليومي ان الساعة التاسعة هي ليتورجياً ساعة مـوت الرب . لذا كان ينتهي الصوم بممارسة سرالشكر اي بالاجتماع حول مائدة الرب استعادة لفعل الفــداء وتطلعاً الى المجيء الثاني . كان الصوم اذن في الكنيسة الاولى انتقالا من الحيــاة الارضية وتخطيا للزمن الى عتبة الابدية في الافخارستيا . وهو بذلك عبارة عن فرح الكنيسة الظافرة وهي تهيء نفسها لعشاءعرس الحمل[١٣] .يمتنع المؤمنون عن الا كل طيلة النهار ،وهم بذلك يفرزون انفسهم شعبا مقدسا اذ قـد اعطوا « سلطانا ان يصيروا اولاد الله ... الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله » [١٤] .

هناك علاقة وطيدة اذن بين الصوم والافخارستيا. فالمؤمن اذ يُقبل للمناولة ، يأتي الى مائدة الرب في فرح الملكوت . وكان الخـبز والخمر يكرَّسان في القداس الالهي صباح الاحد ويحفظان في الكنيسة ليوزَّعا على المؤمنين خلال الاسبوع . هذه جذورالقدسات السابق تقديسها التي يتناولها المؤمنون حاليا خلال قــداس البروجيازمينا يومي الاربعاء والجمعة مساء وذلك طيلة الصوم الكبير [١٥] .وما الصوم الكبيربالاساس سوى زمن تهيئة للمعمودية في كنيسة القرون الاولى اذ كان الموعوظون يصومون استعدادا للمعمودية عشية سبت النور . ويقود سر المعمودية المؤمن الى عتبة الملكوت الآتي اذ به يقبل الدعوة الى مائدة الرب علناً .

هكذا ترفع الليتورجيا في مـــا ترمز اليه حياة المؤمنين الى حيث يلمسون مجد الملكوت وفرحه فيدركون انملكوت الله لا يأتيبمراقبة. ولا يقولون هوذا ههنا وهوذا هناك لان ملكوت الله في داخلهم [١٦] .

في الليتورجيا نعيش الحاضر المكرس الذي يمتد الى ما وراءالتاريخ ويحملنا الى مجد « اليوم الثامن » ، يوم الرب . وهذا اليوم الذي ينتهي اليه الدور الاسبوعي هو فصح الرب ، يوم القيامة الذي بـه أعلن بدء العهد الجديد .

لم يكن نهار الاحد في الكنيسة الاولى مجرد بديل عن يوم السبت . قدس العهد القديم اليوم السابع لان فيه استراح الله في كمال الخليقة ، « ورأى الله كل ما عمله فاذا هـــو حسن جداً ... فأكملت السموات والارض وكل جندها . وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل... وبارك الله اليوم السابع وقدّسه لان فيه استراح من جميع عمله » [١٧] . ولكن يوم الاحد ،اليوم « الثامن »، أتى مكملاً للعهد القديم،صلة وصل بين زمن الخلق وزمن التجسد اذ به أصبح كل شيء جـــديداً في ظفر القيامة . بـــه أستعاد الله الخليقة اليه فاغتسلت بهبة محبته المصلوبة وانتفضت في ولادة ثانية ، في فعل خلق جديد ، لامعة، براقة، بريئة، بلا عيب . يوم القيامة هو اذن اليوم الثامن لانـــه نهاية الخليقة القديمة وبداية العهد الخلاصي الجديد.وهو بذلك يقع خارجالدورةالاسبوعية، خارج الزمن اذ يلقي الخليقة في راحة الرب ويعيدها اليه وقد اعتقت من الخطيئة والموت . وقد كتب عنه الطوباوي أوغسطينوس : « اليوم الاول هو اليوم الثامن لان به قد اعتقت الخليقة الاولىورفعت الىمرتبة الابدية . [١٨] وقال عنه القديس باسيليوس الكبير : « ان يوم الرب عظيم ومجيد . يوم لا يأتي فيه مساء ولا يـــأتي بعده يوم آخر ، يوم لا ينتهي ، بل جيل ودهر يستمر الى دور فدور » [١٩] .

الدور السنوي

ان الدور الليتورجي السنوي مبني على موقف الكتاب المقدس من التاريخ . فالتاريخ هو عمل الله الخلاصي ليفتدي الخليقة في الزمن وهو يبتدىء بفعل الخلق وينتهي بمجيء الملكوت،وبين الخلق ومجيء المسيح الثاني مراحل أساسية دخل الله بها في الزمن ليفتدي الانسانية [20] . السنة الليتورجية اذن هي عبارة عن تاريخ الفداء كما تعيشه الكنيسة في مسيرتها الى الملكوت ،وهي بذلك مطابقة لتدبير الله الخلاصي.والدور السنوي مبني على ثلاث ركائز تنتظم حولها الاعياد الرئيسية كما يلي :

١ – **الميناون** أو « الشهري » ، وفيه تأتي أعياد القديسين يوماً بعد يوم خلال السنة في نظام ثابت.يبدأ الميناون في اليوم الاول من شهر ايلول.

٢ – **التريودي** أو نظام الصوم الكبير ، وهو يبدأ بأحد الفريسي والعشار ، ثلاثة أسابيع قبل بدء الصوم ، ثم تأتي الاسابيع الست للصوم وأسبوع الآلام .

٣ – **البندكستاري** أو موسم الفصح،وهويبدأ بأحد الفصحوينتهي بأحد جميع القديسين أو الاحد الذي يلي أحد العنصرة .

وأما كيف أتت الكنيسة على هذا الترتيب ، فالجواب على هذا السؤال يدخلنا في مقارنة بين مفهوم قصد الله الخلاصي كما هو موضح في العهد القديم وكما تطور في الكنيسة الاولى التي نظرت الى أحداث العهد القديم من خلال الصلب والقبر والقيامة ، فبالمسيح « الاشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديداً » [21] .

والحقيقة الاولى التي ظهرت جلياً للكنيسة هي « ان فصحنا ... المسيح قد ذبح لاجلنا»[22]. لذا تعيش الكنيسة في الفصح، ينسكب على أيام السنة كلها ، وهي تعيّده ببهاء خاص وكأنها فيه تتجدد في الينبوع أي تجديد . والفصح في العهد القديم عيد سنوي جعل ليتذكر الشعب

الخروج من أرض مصر [٢٣] . وكان عيد الفصح يستمر سبعة أيام حسب الترتيب العبراني القديم ، من الرابع عشر الى الحادي والعشرين من شهر نيسان حسب الترتيب القمري ،أي ما بين شهري آذار ونيسان الحاليين. هذا ما يفسر لنا اختلاف اليوم المخصص للفصح من سنة الى اخرى .

والحدث الثاني الذي ميزّته الكنيسة هو عيد الاسابيع القديم ، الذي كان يقدم فيه الشعب باكورة محصول الارض ذبيحة لله [٢٤] . والكنيسة تقدم فيه نفسها ذبيحة حية ، باكورة للخليقة الجديدة في المسيح . وعيد الاسابيع كان يقع في الاسبوع السابع الذي كان يلي عيد الفصح .وتطور مفهوم عيد الاسابيع هذا حتى أصبح في المجتمع العبراني حوالي القرن الاول للميلاد عبارة عن اكتمال الفصح في الشريعة المنزلة على طور سيناء للشعب المجتمع [٢٥] . وكرس هذا الحدث في الفصح الجديد، في ذكرى العنصرة ، اذ بها انسكب الروح على الكنيسة المجتمعة عهداً جديداً وشريعة داخلية [٢٦] .

وهنالك حدث ثالث قد لعب دوراً كبيراً في تحديد السنة الكنسية وهو عيد المظال . وقد دعي هكذا في العهد القديم نسبة الى المظلة أو الخيمة التي نصبت فوق تابوت العهد قبل ان يَبني الملك سليمان الهيكل. وقد أتت الحضرة الالهية وسكنت في الخيمة كما ذكرنا سابقاً وسط الشعب وبشكل محسوس [٢٧] . وكان عيد المظال يقع في شهر « تشري» في بداية السنة القمرية ،أي شهر ايلول الحالي.لذا فأن السنة الليتورجية الحالية تبدأ في أول شهر ايلول ،وقد ُحدد تقسيم الميناون نسبة لذلك.

وبعد ان اقتبست الكنيسة التقويم الروماني وحددت بداية العام بأول شهر كانون الثاني وذلك في القرن الرابع ، اكتسب عيد المظال صبغة جديدة اذ ركزت الكنيسة على مفهوم التجلي الالهي وسط الشعب الجديد ليس كما كانت تنسبه قديماً الى تابوت العهد،بل بالنسبة الى الظهور

الالهي في معمودية المسيح(عيد الغطاس). وبالنسبة الى حدث التجسد (عيد الميلاد) ٢٥ كانون الاول ، عيد الشمس في العالم القديم ، أقتبسته الكنيسة لعيد الميلاد اذ بالميلاد أشرقت شمس الحق الذي يحرر من ظلمة الوثنية . و ٦ كانون الثاني عيد ميلاد الاله باخـوس أصبح عيد الظهور الالهي (عيد الغطاس)[٢٨]. ضمت الكنيسة اليها خصائص البيئة الحضرية التي نشأت فيها واكسبتها روحاً جديداً وهي بذلك سعت الى ان تترجم رسالتها بلغة التراث الحضري اليوناني والروماني الذي ترعرعت في ظلاله وان تنيره مـن الداخل بنور الحق الذي تجلى في وسطها فحررها من نير الوثنية .

وهكذا اجتمعت هـذه العناصر المكونة لتؤلف تدريجياً السنة الطقسية . انطلق الزمـن الليتورجي من أحداث أتت بمثابة ظهور الله في التاريخ . وتسلسل تلك الاحداث لم يكن تسلسلاً تاريخياً وانما مـا يربط بينها فهو القصد الالهي أي فعل الفداء الدائم التجدد الذي اكمل في الجلجلة ومـا زال مستمراً في حياة الكنيسة . الربط هنا في وحدة روحية تسعى لتعلن تجلي الله الآب في الابن المتجسد وذلـك في شركة صلاة شعب الله الذي ألبس قوة من الاعالي بواسطة الروح المحيي ليرفع الخليقة الساقطة ويشدها الى فاديها .

والاعياد السيدية أو الرئيسية كما نعرفها اليوم عبارة عـن شهادة الكنيسة لقصد الله الخلاصي . لذا فأنها تقوم على سر الشكر اذ ان الدعوة الى مائدة الرب دعوة الى وليمة الملكوت المطل على الكنيسة في فعل التجسد الذي اخترق الزمن وظهر في التاريخ .

واما الاعياد الاخرى، فمرجعها الى أحداث عدة مرت بها الكنيسة الاولى وتركت نفس الانطباع في الضمير الكنسي بأنها أحداث بهيجة . في ٦ آب مثلا نقيم عيد التجلي ، وهذا اليوم بالاساس جرى فيه تدشين

ثلاث كنائس على جبل طابور . وكذلك في ١٥ آب (عيد رقاد السيدة) جرى تدشين كنيسة وضعت تحت اسم العذراء قرب بيت لحم . وفي ٢٩ آب (ذكرى قطع رأس يوحنا المعمدان) تم تدشين كنيسة القديس يوحنا المعمدان في السامرة . و ٨ ايلول (عيد ميلاد السيدة) و ٢١ تشرين الثاني (ذكرى دخول السيدة الى الهيكل) ينطبق عليها تفسير مماثل [٢٩] . لا يسمح لنا المجال هنا بأن ننصرف الى شرح مسهب للاعياد المذكورة في الميناون . ولكن لا بد لنا ان نذكر ان كلا منها عبارة عن انفتاح الحياة اليومية على مجد الملكوت وكأننا في كل منها نقف على عتبة الابدية .

وفي أعياد القديسين تأتي الكنيسة تلتمس شركة الذين رقدوا على رجاء القيامة بعد ان عاشوا حياة شفافة لحقيقة الملكوت . وهي اذ تخاطبهم في الليتورجيا، تطل من خلالهم على السماء الجديدة التي جسّدوا حقيقتها في حياتهم . ونحتفل بعيد جميع القديسين في نهاية دور العنصرة اذ به تتحد الكنيسة المنظورة بالكنيسة غير المنظورة . ونحن اذ نذكر القديسين ليتورجيًّا ندخل « سرياً » في شركة معهم أي نرتفع اليهم خارج الزمن في بهاء ملء الكنيسة الجامعة . وتنهي الكنيسة كل صلواتها بتضرع الى شركة القديسين قائلة « بصلوات آبائنا القديسين ايها الرب يسوع المسيح الهنا ارحمنا وخلصنا » . هذا يعني اننا معهم في طبيعة بشرية واحدة ، هي ممجدة فيهم ، ولا تزال في طريقها لان تُمَجَّدَ فينا بفعل قوة الروح القدس لان المعنى الاخير للقداسة انما هو اعلانُ الله ، ظهورُ الرب من خلال حياة مكرسة .

وهكذا فأن كل دور من أدوار الاعياد السنوية يطلب منا الدخول والسير في طريق النعمة في أحضان الكنيسة وفي شركة القديسين ونحن متكئون الى مائدة الرب في مجد اليوم الثامن الازلي .

الحواشي

١ — راجع في ذلك :
Irénée Henri Dalmais O.P., **The Eastern Liturgies,** Burns and Oates, London, 1960
وراجع ايضا : لوقا ١٣ : ٢٤ وما يتلوها

٢ — راجع في ذلك ما ورد حول « تقديس العالم » ، صفحة ٦٩ وما يتلوها .

٣ — مزمور ٩٠ : ٢

٤ — ٢ بطرس ٣ : ٨

٥ — مزمور ١١٩ : ١٦٤

٦ — رهبنة دير مار جرجس الحرف ، **من اجل فهم الليتورجيا وعيشها** ، منشورات النور ص ١٦ — ٢٣

٧ — Migne, Patr. Graec., 32, 93 ، كما وردت في « المناولة المتواصلة » للارشمندريت افسابيوس مثتوبولس ، النور، العدد ٩ ، السنة الثالثة ، تشرين الثاني ١٩٤٧

٨ — راجع في ذلك :
Alexander Schmemann, **Introduction to Liturgical Theology,** The Faith Press Ltd., USA, 1970, «The Problem of the Origin of the Ordo», pp. 40-71

٩ — افسس ٥ : ١٦ وكولوسي ٤ : ٥

١٠ — راجع في ذلك الفصل حول « تقديس العالم » ، صفحة ٦٩ وما يتلوها .

١١ — H. Lietzmann, **Histoire de l'Eglise Ancienne,** Vol. II, Paris, Payot, 1937, p. 132

١٢ — Basil The Great, Epis. 93, P.G. 32, 484-85, quoted in Schmemann, op. cit., p. 121

١٣ — رؤيا ١٩ : ٧ — ٩

١٤ — يوحنا ١ : ١٣

١٥ — راجع في ذلك ، الارشمندريت ليف جيلله ، **زمن الصوم** ، منشورات النور

١٦ ــ لوقا ١٧ : ٢٠

١٧ ــ تكوين ١ : ٣١ ــ ٢ : ٣

١٨ ــ Epist. 55:17, quoted in Schmemann, op. cit. p. 62

١٩ ــ Migne, Patr. Graec., 29, 49, quoted in Schmemann, Ibid., p. 62

٢٠ ــ راجع في ذلك :
Oscar Cullmann, **Le Christ et Le Temps,** Paris, Delachaux et Niestlé, 1947

٢١ ــ ٢ كورنتوس ٥ : ١٧

٢٢ ــ ١ كورنتوس ٥ : ٧

٢٣ ــ خروج ١٢ : ١١ ــ ٢٧ ، ٢ لاويين ٢٣ : ٢٥ وعدد ٢٨ : ١٦

٢٤ ــ خروج ٣٤ : ٢٢

٢٥ ــ راجع في ذلك :
Allan McArthur, **The Evolution of the Christian Year,** London, SCM, 1953

٢٦ ــ اعمال ٢ : ١ــ٥ و ٢ : ١٦ و ١ كورنتوس ١٦ : ٨

٢٧ ــ لاويين ٢٣ : ٢٤ ــ ٢٥ راجع ايضا ما ورد حول « الحضور الالهي » في الجزء الاول ، صفحة ٣٣ وما يتلوها .

٢٨ ــ راجع في ذلك : Schmemann, op. cit., pp. 72-115

٢٩ ــ راجع في ذلك : Schmemann, Ibid., pp. 134-146

البعد المكاني للعبادة

« احببت جمال بيتك وموضع حلول مجدك »

المكان المقدس

« تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في اورشليم تسجدون للآب »[1] . في قول يسوع هذا للسامرية يشير الى نفسه كمكان مقدس لا حدود له، دائم الحضور . وهو في ذلك يؤكد ان كل مكان تقام فيه الذبيحة الالهية مكان مقدس لانه هو حاضر فيه بالجسد . ليست المعابد اماكن جغرافية « مقدسة » ولكنها على تعددها ، تستقطب فعل التجسد اذ فيها يحضر ابن الانسان في الكنيسة المجتمعة . فيها يطل هذا العالم على العالم السماوي، وبها نتدرج نحن الى السماء كما على سلم يعقوب . كل معبد جبل التجلي ، والكنيسة المجتمعة حـــول الابن المتجسد محور الخليقة باسرها . هي « شعب نازل عن رؤوس الجبال ... من سرّة الارض »[2] .

يجعل التراث من الجلجثة قطب العالم المخلوق الذي فيه خلق الله آدم، وفيه رفع الصليب ، وفيه دفن آدم ، وفيه قهر الجحيم . الصليب هـو الشجرة الكونية ، « الحامل الحياة . . . باب الفردوس . . . الذي به ابتلعت قوة الموت »[3] . وجذور الصليب تنزل الى الجحيم وهو يرتقي بنا الى السماء . « ظهر مساويا السماء طولا وعرضا، اذ انه يقدس بالنعمة الالهية الاشياء جميعها »[4] . والمسيح المقرّب في الذبيحة الالهية هو بنفسه تلك الشجرة الكونية ، باب الفردوس وقاهر الجحيم .

« احببت جمال بيتك وموضع حلول مجدك »[5]. المعبد مكان مقدس ختم برسم الصليب، « سورا ... به تلاشى الفساد وبطل...وبه ارتقينا من الارض الى السماوات » . وهو « ميناء الخلاص... المانح العالم الرحمة العظمى »[6] . بناء الكنيسة « سلم الهية » بها نرتقي الى السموات »[7]. وهـو جبل مقدس فيه يحضر الله متجسدا ، يشدنا الى معشر المخلوقات السماوية التي تنزل اليه وتصعد منه كما على سلم يعقوب .

« عينا الله مفتوحتان ليلا ونهارا ... على الموضع الذي فيه اسمه والذي يجتمع فيه الشعب ليصلي »[8] . وتحته توضع بقايا القديسين رمزا لحضورهم فيه حول المسيح المقرَّب[9]. فالمذبح الحقيقي هو تلك النفوس التي رآها ملاك الرؤيا وقد « اعطوا كل واحد ثيابا بيضا وقيل لهم ان يستريحوا زمانا يسيرا ايضا »[10] . منتظرين تجلي الفصح بكامله .

المعبـــد

« جبل الله جبل باشان... الرب فيها . سيناء في القدس...قال الرب من باشان ارجع ... طرق الهي ملكي في القدس »[11] . « ان يسوع هـذا الذي ارتفع عنكم الى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقا الى السماء »[12] . ان اتجاه المعبد نحـو الشرق رمز انتظار الرب تطلعا الى السماء ، الى الشرق من حيث انطلق ومن حيث سيعود . وشكل المعبد الهندسي يدخلنا تدريجيا الى جبل باشان بعد ان « نطرح عنا كل اهتمام دنيـوي لكوننا مزمعين ان نستقبل ملك الكل مزفوفا من المراتب الملائكية بحال غير منظورة » كما نقول في الشاروبيكون .

شيدت الكنائس تقليدياً في شكل مستطيل اي في شكل سفينة . وهـــذا لان المؤمنين متى اجتمعوا يدخلون عهد الله الخلاصي . ورب

السفينة يسوع يقودها عبر مياه العالم الصاخبة نحو المرفأ الامين ، نحـو الارض الجديدة .

واتخذت الكنائس الشرقية شكل صليب تتوسطه قبة :

ندخل اولا باحة الكنيسة ، والسور الذي يحيط بالمعبد يرمز الى السور الذي تكلمنا عنه سابقا ، رسم الصليب الذي « به تلاشى الفساد وبطل » . وكانت الباحة تقليديا تجمع المدافن رمز اتحاد الاحياء بالذين رقدوا على رجاء القيامة . متى دخلنا الباحة اقتربنا من حضرة الرب بصحبة الكنيسة الجامعة الرسولية « الى جبل صهيون والى مدينة الله الحي اورشليم السماوية والى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة ابـكار مكتوبين في السماوات والى الله ديّان الجميـع والى ارواح ابرار مكملين والى وسيط العهد الجديد يسوع » [١٣] .

ثم نصعد من الباحة الى مدخل الكنيسة . ويستمرالشكل الهندسي في تصاعده الى قمة الجبل المقدس ، الى الهيكل الذي يرتقي اليه الكاهن بدرج ايضا . ويفصلنا الايقونسطاس عن العلية ، عن قمة الجبل المقدس التي يدخل اليها الكاهن من الباب الملوكي ومعه نصعد نحن ايضا « لنجعل قلوبنا فوق » .

وللايقونسطاس ثلاثة ابواب : يتوسطه الباب الكبير او الملوكي ، ومنه يدخل ملك المجد كلمة معلنة في الانجيل ، كلمة متجسدة في الخبز والخمر ، وكاهنا الى الابد ، المقرِّب والمقرَّب بشخص الـكاهن خادم القداس. والبابان الصغيران ، الباب الشمالي والباب الجنوبي يمثلان الباب الضيق الذي به ندخل نحن المجتمعين بعين الايمان الى حضرة الله المتجسد مع الـكاهن ومع خدام القداس لنقرب انفسنا ذبيحة حية عند اقـدام الحمـل .

وتوضع الايقونات على الايقونسطاس ، وهي بهذا تتقدم الشعب المجتمع في مسيرته الى الارض الجديدة :

نرى ايقونة المسيح الى يمين الباب الملوكي ، وهو الوسيط الوحيد الى الآب ، والى جانبها ايقونة يوحنا المعمدان الذي مهد الطريق امام الكلمة المتجسد ، ثم ايقونة الملاك جبرائيل وهو الذي أُرسِل ليبشر مريم العذراء بتجسد الكلمة .

والى الشمال ايقونة مريم العذراء رمز للانسانية تحتضن بين زراعيها الكلمة المتجسد ، ثم ايقونة القديس الذي سميت الكنيسة على اسمه ، ثم ايقونة الملاك ميخائيل الملاك الحارس ورئيس الاجناد السماوية .

هذه الايقونات الستة باكورة الكنيسة ورأسها ، ونحن بهديها سائرون نحو الملكوت .

ووراء الايقونسطاس قدس الاقداس وهوالقسم الداخلي من الكنيسة ، القسم الذي لا يدخله الا الكهنة والذي يفصله عن بقية الكنيسة حاجز الايقونسطاس . وفي وسط الهيكل هذا نجد مائدة عليها تتم الاستحالة وتدعى ايضا « العرش » لان عليها يحل ملك الملوك في حين الاستحالة. والى يسار هذه المائدة حفرة في الحائط على شكل مغارة تدعى المذبح فيها تتم التقدمة . ويذكرنا شكل المذبح بالمغارة التي ولد فيها يسوع وبالقبر الذي دفن فيه جسده الطاهر. في طقوس الكنيسة الشرقية ذكر الدفن وذكر الميلاد مرتبطان لانهما يعبران عن تنازل الاله وانسحاقه من اجلنا . يقول الكاهن في ترتيب اخذ الكيرون : « استعدّي يا بيت لحم فان عدنا قد فتحت للجميع ، تهيأي يا افراثا فان عود الحياة قد ازهر في المغارة ناميا من العذراء .. لقد ولد المسيح لكي يُنهض الصورةَ التي

سقطت قبلا ... أيها المسيح ان قـبرك الذي هو ينبوع قيامتنا قد ظهر بالحقيقة حاملا الحياة وأبهى من الفردوس واجمل من كل خدر ملوكي » .

ووراء المذبح ينتصب الصليب ، سلم يعقوب ، السلم الالهية التي بها نرتقي نحـن الى السماء ويـنزل بواسطتها الله ليتحدث معنا متجسدا في يسوع المصلوب والممجد .

وقبة المعبد ايضا تؤكد هذه الانطلاقة الصاعدة الى العلاء في محاولة هندسية تحوي ألسنة النار المتجهة الى فـوق كما ان نور الشموع يجتمع بالايقونات البيزنطية انطلاقة فنية الى السماء الجديدة ، تسعى لتجسد الارض الجديدة مسكن الله من الناس. [١٤]

الحواشي

١ — يوحنا ٤ : ٢١
٢ — قضاة ٩ : ٣٧
٣ — في صلاة المساء في تقدمة عيد رفع الصليب
٤ — في صلاة السحر في عيد رفع الصليب
٥ — من ترتيب لبس الشماس والكاهن
٦ — في صلاة المساء في تقدمة عيد رفع الصليب
٧ — في صلاة السحر في عيد رفع الصليب
٨ — الملوك الاول ٨ : ٢٩ — ٣٠ انظر ايضا الملوك الاول ٨ : ٦٤ و ٩ : ٣
٩ — رؤيا ٦ : ٩
١٠ — رؤيا ٦ : ١١
١١ — مزمور ٦٨ : ١٥ و ١٧ و ٢٢ و ٢٤
١٢ — اعمال ١ : ١١
١٣ — عبرانيين ١٢ : ٢٢ — ٢٤
١٤ — انظر في ذلك :
Paul Evdokimov, **L'Orthodoxie**, pp. 213-216

القداس الالهي

التقدمة وقداس الموعوظين

ان القداس الالهي مسيرة الكنيسة المجتمعة نحو الملكوت الاتي. وهو بذلك انطلاقة الى المسيح يسوع الجالس في مجده عن يمين الآب . ونحن اذ نشارك المسيح في مجده في القداس الالهي، « نصعد الى جبل الرب ، والى بيت الهنا ، لنعاين مجد تجليه كمجد وحيد من الاب ونستمد نوراً بنوره ، واذ نرتقي بالروح نسبح مـــدى الدهور الثالوث المتساوي في الجوهر »[١] . هذا الدخول الى حضرة الله يوسّع آفاقنا ويفتح « حدقتي ذهننا » [٢] ، فنرى الخليقة بأسرها وقد اتشحت بـ « الكلمة النور ... والاب النور والروح النور » [٣] .

تبدأ المسيرة عندما نغادر بيوتنا وننطلق نحـــو الكنيسة . ونحن بذلك نقصد المعبد لنكون الكنيسة ، لنشترك في تجسيد حقيقة كنيسة الابكار ونشهد ان « باني الكل هـــو الله ... وبيته نحن » [٤] . ونأتي لنكون أفضل مما كنا في حياتنا اليومية، لنلبس الانسان الجديد كاعضاء في جسد المسيح . ما يقوله الكاهن في التقدمة ، « تبتهج نفسي بالرب لانه ألبسني ثوب الخلاص وسربلني حلة السرور ووضع علي تاجاً كالختن ومثل العروس زينني تزييناً » ، يقوله معنا وعنا أمام المذبح [٥] .

نقصد القداس الالهي اذاً لنفرز من العالم ونكوّن جسد المسيح « الالف والياء ، البداية والنهاية ، الاول والاخر » [٦] . وبذلك نختم الخليقة بختم قداسة الكلمة المتجسد. به ندخل «من الابواب الى المدينة» [٧].

« انت الهنا ونحن شعبك وكلنا صنع يديك وباسمك ندعى ». يقولها الشماس في ترتيب أخذ الكيرون وبذلك يؤكد عملية الفرز عن العالم وهي التي نتحدث عنها هنا . ونحن في محاولاتنا « لتبسيط » العقيدة المسيحية كي تصبح في متناول انسان القرن العشرين ، نتناسى ان الحقيقة التي نعيشها ليست من هذا العالم وان المسيح، بعد ان قام من بين الاموات ممجداً ، تغير الى حد ان تلاميذه أنفسهم لم يعرفوه. ظنت مريم المجدلية انه البستاني . والتلميذان وهما في طريقهما الى عمواس يتكلمان، «اقترب اليهما يسوع وكان يمشي معهما » ، ولكنهما لم يعرفاه حتى « أخذ خبزاً وبارك وكسر وناولهما» [٨]. ثم انه ظهر الى الاثني عشر« وكانت الابواب مغلقة » [٩] .

يسوع بن مريم ، الناصري ، أصبح يسوع بن الله الوحيد الكلمة المتجسد ولذلك لم يعرفه تلاميذه . حقيقة قيامته لم تتجلّ بشكل مكشوف وواضح بل ظهرت للذين بحثوا عنها بعين الايمان وهم مجتمعون وراء أبواب مغلقة . يصرخ الشماس في قداس المؤمنين قبل ان يتلى قانون الايمان « الابواب الابواب » وهو بذلك يؤكد حقيقة سر « الثالوث المتساوي في الجوهر وغير المنفصل» الذي يدرك فقط بعين الايمان داخل الابواب ويتجلى في الكنيسة المجتمعة للتشترك في قيامة المسيح .

التقدمة

تدعى هكذا لانها كانت ، بحسب التقاليد ، الفترة التي يقدم فيها الخبز والخمر في مسيرة المؤمنين من باب المعبد الى المذبح بعد ان يكون

الموعوظون قد غادروا المبنى بصحبة الشماس. ووضعت التقدمة في أول القداس ما بين القرن السابع والثامن ثم اتخذت تدريجاً شكلها الحالي ما بين القرن الثاني عشر والرابع عشر فاصبحت بمثابة خلاصة لحدث الفداء الذي يجري في القداس. « لقد أشتريتنا بدمك الكريم من لعنة الناموس بتسميرك على الصليب ، وبطعنك بالحربة انبعث للناس الخلود ». ان هــذه الطروبارية المقتبسة من صلاة يوم الجمعة العظيمة تجمع أحداث القداس في التقدمة ، وتأتي المؤشرات الليتورجية لتؤكدها على الشكل التالي :

يدخل الكاهن والشماس الهيكل من الباب الشمالي والباب الجنوبي فيسجدان أمام المدخل ويقولان : « أدخل الى بيتك وأسجد الى هيكل قدسك بخوفك ». وهما بذلك يشيران الى اننا بالقداس الالهي نترك العالم ونجيء الى بيت الرب ، الى حضرة الله .

«لان حياته قد ارتفعت من الارض» ، يقولها الكاهن وهو يُدْخل الحربة المقدسة تحت ختم القربانة وهو يفصله عنها ويرفعه منها ويضعه في الصينية المقدسة. «استرنا يا رب بستر جناحيك واطرد عنا كل عدو ومحارب» ، يقــولها الكاهن اذ يأخذ الستر الكبير ويقبّله بعد ان يبخره الشماس ويغطي به الصينية والكأس المقدستين. « وقت ليعمل فيه الرب » ، يقولها الشماس وهو ينحني امام الكاهن ماسكا زناره بعد ان يقبّل الكاهن الانجيل والمائدة. كل هذه المؤشرات الليتورجية تؤكد ان التقدمة هي عملية فرز عن العالم ، تهيئة الكنيسة المجتمعة لتستقبل سيدها الممجد .

وتجري التقدمة [١٠] بعد ان يكون المرتل قد انشد « الله الرب ظهر لنا ، مبارك الآتي باسم الرب » في صلاة السحر وفيها تتلى المزامير المعينة لذلك اليوم . يقف الكاهن امام الباب الملوكي — وهــو الباب الرئيسي

المؤدي الى الهيكل– ويتلو بعض الصلوات ويتقدم من الايقونات فيقبلها وبعد ذلك يدخل الى الهيكل ليقوم بعمله المقدس . «لانه نصب المسكن الاول الذي يقال له القدس الذي كان فيه المنارة والمائدة وخبز التقدمة . ووراء الحجاب الثاني المسكن الذي يقال له قدس الاقداس فيه مبخرة من ذهب وتابوت العهد .. وفوقه كاروبا المجد مظللين الغطاء ... ثم اذا صارت هذه مهيأة هكذا يدخل الكهنة الى المسكن الاول كل حين صانعين الخدمة . واما الثاني فرئيس الكهنة فقط مرة في السنة ليس بلا دم يقدمه عن نفسه وعن جهالات الشعب معلنا الروح القدس بهذا ان طريق الاقداس لم يظهر بعد ما دام المسكن الاول له اقامة الذي هو رمز للوقت الحاضر ... واما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة ... فبالمسكن الاعظم والاكمل غير المصنوع بيد اي الذي ليس من هذه الخليقة ... بدم نفسه دخل مرة واحدة الى الاقداس ... الى السماء عينها ليظهر الآن امام وجه الله لاجلنا »[١١] . تضعنا التقدمة ما بين العهدين في ذبيحة تسبيح تؤكد فعالية ذبيحة الحمل المقرّب مرة والى الابد وسط الكنيسة المجتمعة .ولكنها تذكرنا في نفس الوقت اننا ما زلنا في طريقنا الى الملكوت وان فعل الفداء الذي قد اكمل في الجلجثة يستمر في حياة الكنيسة الى ان يتجلى الفصح بكامله في المجيء الثاني .

وعندما يدخل الكاهن الى الهيكل يتلو هذه الآية من المزامير « ادخل الى بيتك واسجد في هيكل قدسك »[١٢]، ثم يذهب الى المغسلة فيغسل يديه قائلا «اغسل يدي بالنقاوة واطوف في مذبحك يارب»[١٣]. وغسل اليدين رمز لنقاوة القلب وهي التي يجب ان يتحلى بها خادم الاسرار الالهية .ثم يرتدي الثياب الكهنوتية قائلا اثناء ارتدائه كل قطعة منها آية من الكتاب المقدس . نلاحظ ان الكاهن طوال قيامه بهذه الاعمال الاعدادية يصحبها بآيات كتابية لان الاعمال الاعتيادية الوضيعة كالدخول من باب وغسل اليدين وارتداء الثياب يجب ان تقدس بكلمة

الله لاجل الغاية المقدسة التي تهدف اليها ، اي خدمة اسرار الله .
فالكاهن الذي يقيم الخدمة الالهية لم يعد بنظرنا ذلك الانسان الذي نعاشره كل يوم ونلتقي به في السوق ونزوره ويزورنا ونتحدث اليه احيانا بلا تكلّف ونعرف نقائصه وعيوبه ، انه الآن الاداة الحية التي اقامها الروح القدس لخدمة الاسرار المحيية والتي يستخدمها لبث نعمه في الكنيسة واحياء المؤمنين. فارتداء الالبسة الكهنوتية يعني ان الكاهن، رغم جهله وخطاياه التي هي موضع حساب بينه وبين الله، يمكنه ان يتمم الاسرار الالهية لان متمم الاسرار الحقيقي هو المسيح يسوع نفسه الذي هو « الكاهن الى الابد » [١٤] وهو يفعل ذلك من خلال الكاهن .

يرتدي الكاهن الالبسة الليتورجية الخمسة كما يلي ، راسماً اشارة الصليب على كل منها ومقبلا اياها قبل ان يلبسها :

يرتدي اولا الاستيخارة او اللباس الداخلي ، وهو ثوب طويل يرمز الى نقاوة القلب . واذ يلبس « الانسان الجديد » هكذا ، يقول :

« فرحا افرح بالرب . تبتهج نفسي بألهي لانه قد البسني ثياب الخلاص . كساني رداء البر مثل عريس يتزين بعمامة ومثل عروس تتزين بحليها » (اشعياء ٦١ : ١٠) .

ثم يضع البطرشيل حول عنقه ، وهو يرمز الى النعمة المنحدرة على الكاهن ، ويشير ايضاً الى الصليب الذي حمله يسوع على كتفيه، ويقول:

« تبارك الله الذي يسكب نعمته على كهنته مثل الدهن الطيّب على الرأس النازل على اللحية لحية هارون النازل الى طرف ثيابه » (مزمور ١٣١ : ٢) .

ثم يتمنطق بـ « الزوني » او الزنار ، وهو يشير الى استعداد الكاهن للخدمة متسلحا بقوة الروح القدس ، ويقول :

« تبارك الله الذي يمنطقني بالقوة ويصيّر طريقي كاملاً » (مزمور ١٨ : ٣٢) .ثم يلبس الكم اليمين والكم اليسار وهما قطعتان تغطيان طرف كميه وترمزان الى قوة الله الخلاقة ، ويقول اذ يلبس الاولى في يده اليمنى :

« يمينك يا رب معتزة بالقدرة . يمينك يا رب تحطم العدو. وبكثرة عظمتك تهدم مقاوميك » (خروج ١٥ : ٦ — ٧) .

واذ يلبس الثانية في يده اليسرى يقول :

« يداك صنعتاني وأنشأتاني . فهمني فاتعلم وصاياك » (مزمور ١١٩ : ٧٣) .

ثم يضع الافلونية او المعطف على كتفيه ،وهو يشير الى الثوب القرمزي الذي ارتداه يسوع امام قيافا ، ويقول :

« كهنتك يلبسون البر وانقياؤك يهتفون الآن وكل اوان والى دهر الداهرين . امين » (مزمور ١٣٢ : ٩) .

وبعد ان ينتهي الكاهن من ارتداء ثيابه يقترب من المذبح ويضع عليه الاواني المقدسة وهي : صينية تعلوها قطعتان معدنيتان معقوفتان متصلتان بشكل صليب وهاتان القطعتان اللتان يستند عليها غطاء الصينية تدعيان النجم وتذكران بالنجم الذي هدى المجوس الى حيث كان الطفل يسوع ، وكأس ووعاء للخمر ووعاء آخر للماء وملعقة واسفنجة وحربة بشكل مثلث . ويضع ايضا على المذبح اغطية الاواني المقدسة والخبزات الخمسة .

ثم يأخذ احدى هــذه الخبزات وينتزع منها بالحربة الطابع اوالحمل مقتطعا اياه من جهاته الاربع وعلى كل جهـــة من الجهات يتلو آية من اشعياء النبي الذي تنبأ عن المسيح وآلامــه بوضوح مدهش جعل الاباء يدعونه «الانجيلي الخامس». يقول الكاهن على الجهة الاولى: «كمثل خروف سيق الى الذبح »[١٥]، وعلى الجهة الثانية: « وكمثل حمل صامت امام الذي يجزه هكذا لم يفتح فاه » وعلى الجهة الثالثة: « بتواضعه انتزع قضاؤه » وعلى الجهة الرابعة: «اما جيله (اصله الالهي) فمن يصفه» [١٦]. ثم يرفع الحمل قائلا: « لان حياته قد ارتفعت من الارض » ويضعه مقلوبا على الصينية ويقطعه بشكل صليب دون ان ينفذ الى قشرته ثم يقدّم الحمل ويطعنه بالحربة قائلا هــذه الآية من الانجيل: « واتى واحد من الجند وطعـــن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء ». وعند تلاوة الكلمات الاخيرة يأخذ وعاء الماء ووعاء الخمر ويصب منهما في الكأس ويتابع قائلا: « والذي عاين شهد وشهادته حق » [١٧]. وهكذا نرى كيف ان القداس الالهي هو بالحقيقة ذكرى لموت الرب حسب قول الرسول: « كلما اكلتم من هذا الخبز وشربتم من هذه الكأس تخبرون بموت الرب » [١٨].

ثم يأخذ الكاهن الخبزة الثانية وينتزع منها بالحربة جزءاً بشكل مثلث من اجل تذكار والدة الاله ويضعه في الصينية عن يمين الحمل قائلا هذه الآية من المزامير: « قامت الملكة عن يمينك مزيّنة بثوب مذهّب موشّى » [١٩]، ثم يأخذ تسعة اجزاء على اسم جميـــع القديسين من رسل وشهداء ورؤساء كهنة فيضعها عـــن يسار الحمل في الصينية، وأخيراً يأخذ اجزاء عن الاحياء والاموات وبنوع خاص الذين قُدمت القرابين من اجلهم ذاكراً اياهم بأسمائهم، فيضع هذه الاجزاء تحت الحمل في الصينية. وهكذا يظهر الرب يسوع محاطاً بكنيسته كلها متجندة وظافرة حسب قوله: « حيثما اكون انا فهناك يكون خادمي » [٢٠]. ثم يبخّر الكاهن

الاغطية ويضعها فوق الاواني المقدسة، ثم يبخّر المذبح والمائدة وتنتهي خدمة التقدمة .

قداس الموعوظين

يدعى هكذا لانه لم يكن يحق للموعوظين ان يحضروا الا هذا الجزء من القداس . من هم هؤلاء الموعوظون ؟ لقد رتبت الكنيسة المسيحية في الاجيال الاولى ان لا تقبل عضواً ضمنها الا اذا خضع لشروط تختبر اخلاصه للمسيح في عهد كان فيه هذا الاخلاص يعرّض صاحبه للاضطهاد والاستشهاد . فاذا اراد أحدهم ان يصبح مسيحياً ، كان يعرض على احد المسيحيين رغبته تلك فيأخذه هذا بدوره الى الاسقف فيسجّل الاسقف اسمه في سجل الموعوظين . وكان على الموعوظ ان يتعلم حقائق الايمان المسيحي بواسطة الوعظ الذي كان يقوم به الشماس او الاسقف (ومن هنا اتت كلمة « موعوظ ») . وكان عليه ان يعيش حياة تليق بالمسيح بأشراف الشخص الذي قاده الى الاسقف والذي كان يُعتبر كفيله أمام الكنيسة .وكانت فترة التعلم والاختبار هذه تدوم من ثلاث سنوات الى اثنتي عشرة سنة .وفي نهايتها كان الموعوظ،الذي تعلم حقائق الايمان وآمن بها وأثبت خضوعه للمسيح في حياته وسلوكه ، يتقبل سر المعمودية في السبت العظيم ويصبح هكذا عضواً في الكنيسة جسد المسيح. ولم يكن يحق للموعوظ ان يشترك في مائدة الرب قبل المعمودية لأنه لم يصبح بعد عضواً في شركة المؤمنين ، ولذلك لم يكن يحضر القداس كله بل كان يحضر جزءاً منه يمكنه فيه ان يتلقى تعليم الايمان وان يدخل أكثر فأكثر في جو الكنيسة . وكان الموعوظون يخرجون من المعبد مع الشماس أو من ولِيَّ أمرَ أرشادهم اذ يقول الشماس : « يا جميع الموعوظين اخرجوا . أيها الموعوظون اخرجوا . يا جميع الموعوظين اخرجوا . لا يبقَ احد من الموعوظين » .ويسمح لهم بمتابعة القداس في

باحة الكنيسة داخل السور الذي تكلمنا عنه سابقاً اذ انهم قد فرزوا عن العالم وهم في حالة انتظار للمعمودية .

قال أوريجانس : « في قداس الموعوظين تتم خطوبة النفس للرب ، اما في قداس المؤمنين فيتم زواج الرب بالنفس » . الموعوظون اذاً هم الذين خطبوا للمسيح بالمعمودية وثبتوا في جسده بالميرون. القداس الالهي هو عملية حوار مع المسيح ، هو تقبل الانجيل ،الكلمة المعلن،والخضوع له والتوبة أي العودة اليه بفرح وبساطة قلب ، ثم الانـدماج بالصليب والقبر والقيامة والصعود في سر الشكر أو المناولة في قداس المؤمنين .

في قداس الموعوظين تتم خطبة النفس للرب أي تهيئتها واعدادها في بتوليتها الاولى لأن تدخـل الخدر الملوكي « باستحقاق » أي بعد ان تتسربل حلة العرس اذ تتنقى بالتوبة فتصبح لامعة برّاقة .

الكنيسة كلها جسم واحـد ، وهي تدنو من ربها في القداس الالهي فيقربها على مذبحه ذبيحة حية دون عيب أو لوم . ونحن في قـداس الموعوظين نأتي لنتّحد بالكنيسة التي قـد أتت بأجمعها لتستقبل ربها . نتخطى فرديتنا الموحشة فنصبح اعضاء فعّالين ، نرمى في جسد المسيح الذي أتى يتوخى وجاهة الملكوت وننضم الى هذه المسيرة المشتركة على دروب الابدية نستنزلها الينا فننشد الانسانية والعالم بأسره اليها .

١ ــ يبدأ قداس الموعوظين **بالاعلان الافتتاحي** : « مباركة هي مملكة الآب والابن والروح القدس الآن وكل اوان والىدهر الداهرين». وبهذا نؤكد ان هدف مسيرتنا هـو الملكوت . نحن في طريقنا اليه في القداس . نباركه أي نعلن انه هدفنا ، انـه منتهى مشتهانا ومقصد حياتنا وغاية الخليقة بأسرها .فعل البركة ،في المفهوم الكتابي،يعني فعل المحبة المكرسة ،الهادفة،المشدودة الى من تحب.تبارك الكنيسة المجتمعة

الملكوت الآتي في بداية القداس أي انها تؤكد ان مقصدها هـو المسيح الممجد .

ويجيب الجوق « امين » أي « حقاً » ، وهي عبارة ذات أصـــل عبراني . ومع الجوق تعلن الكنيسة انها على استعداد لأن تتبع خطى المسيح في صعوده الى الآب لأن ارتفاعه نهاية الخليقة . هذه هبة المسيح لنا اذ به نقول آمين لله ونحدد بذلك غاية الانسانية مجتذبة بالمسيح الى الاعلى والى فوق حيث هو جالس عن يمين الآب .

وللاعلان الافتتاحي أهمية كبرى تتلخص فيما يلي :

أ ــ انـــه اعلان العقيدة المسيحية الاساسية وهي عقيدة الثالوث الاقدس ، اذ انه يظهر تثليث الاقانيم مع وحدة الجوهر .

ب ــ انه دعوة للمؤمنين الى الدخول في مملكة الثالوث . فكأن الكاهن يقول للمؤمنين : فليتجرد كل منكم عن اهتماماته الدنيوية ، عـن مشاريعه وشواغله وهمومه ، لنواجه الله معاً وندخل الى حضرته ونشترك في حياته الالهية .

٢ ــ الطلبة السلامية الكبرى

تدعى هكذا لانها اطول طلبة في القداس الالهي ولانها تبدأ بطلب السلام اذ يقول الكاهن : « بسلام من الرب نطلب » ، « من اجل السلام العلوي وخلاص نفوسنا من الرب نطلب » . نطلب بهذا مع الكاهن السلام الذي ينحدر من فوق ، من الله نفسه الذي يضم اليه النفس التائبة ويعيد اليها صداقته وألفته كما ضمّ الاب ابنه الشاطر الى صدره وأسكنه من جديد في بيته .

في الطلبة السلامية ندعو الله لأن يعود من المنفى الذي نبذته اليه قوى الشر فنبذناه نحن ايضاً باستسلامنا لها . تتضرع الكنيسة المجتمعة من اجل سلام كل العالم، ولذلك فالطلبة من اجل السلام مرتبطة بالطلبة من اجل البر ، من اجل المصالحة مع الله بيسوع المسيح المقرَّب من اجلنا . وننال نعمة هذه المصالحة بالعودة الى الله ، ونحن مع الكاهن نطلب نعمة التوبة والغفران ولسان حالنا يقول مع الرسول بولس « تصالحوا مع الله لأنه جعل الذي ليست فيه خطيئة خطيئة من اجلنا لكي نصير نحن بر الله فيه » [٢١] .

والطلبة من اجل السلام مرتبطة بالطلبة من اجل « حسن ثبات كنائس الله المقدسة ».وهي تشمل رئيس الكهنة والذين كرّسوا ذواتهم لخدمة الله ،من الكهنة والشمامسة والشعب المؤمن والمسؤولين عن الحكم في البلاد والمسافرين في البحر والبر والجو المعرضين لأخطار متنوعة ، والمصابين بالامراض والشدائد ، وحالة الجو وحسن غلال الارض . وهكذا نرى ان المسيحي الذي يأتي الى القداس الالهي لا ينعزل عن الناس منفرداً في برج عاجي بل يتقبل في ذاته ليس فقط حاجات الكنيسة ولكن حاجات العالم بأسره ، فيصلي من اجلها الى الرب ويحملها اليه . القداس الالهي شركة كونية تدخل في كثافة الخليقة لتفتديها وتخلصها بنعمة الاله المتجسد كالخميرة التي تدخل في صميم العجين لتخمره كله .

ان الطلبة السلامية بداية الطريق الى الملكوت . وبها نترك «العالم» ونجتمع في شركة الكنيسة جسد المسيح. نبدأ طريقنا بصلوات مشتركة تؤلف فعل تسبيح فرح في حضرة الله . فالقداس الالهي هو ، قبل كل شيء، ترنيمة فرح في حضرة المسيح المنتصر على قوى الشر وتهليل ندخل به الى مخدع عرس الحمل . ونحن بذلك نعود في مجال اللحن والمؤشرات

الفنية والتقاليد الليتورجية الى حرية فرح الطفولة. عالم الليتورجيا عالم الطفولة المتحررة من قيود « التقاليد » . وهـــو غني بالدلائل الحسية والالوان والموسيقى . فيه نأتي مع الـكاهن مرتدين ثياب العرس لأننا نأتي لنشيّع الختن الى مخدعه « في زينة مقدسة » [٢٢] .

ان الكنيسة المجتمعة في القداس الالهي تأتي بدعوة من سيدها لتطهر وتزف اليه اذ انه قد خطبها اليه قائلا : « هاءنذا اتملقها واذهب بها الى البرية واتكلم لقلبها واعطيها كروماً من هناك . . . باباً للرجاء وهي تغني كأيام صباها . . . واخطبك لنفسي الى الابـد واخطبك لنفسي بالعدل والحق والاحسان والمراحم . اخطبك لنفسي بالامانة فتعرفين الرب . ويكون في ذلـــك اليوم اني استجيب بقول الرب استجيب السموات وهي تستجيب الارض » [٢٣] .

٣ — **الانتيفونات**

بعد الطلبة السلامية الكبرى تأتي الانتيفونات وهي ترانيم يتجاوب بها جوقا اليمين والشمال .

« بعد ذكرنا الـكلية القداسة الطاهرة الفائقة البركات المجيدة سيدتنا والدة الاله الدائمة البتولية مريم ، مـــع جميع القديسين لنودع أنفسنا وبعضنا بعضاً وجميع حياتنا للمسيح الاله » . في هــــذه الترنيمة تعليم عقائدي هام عن شفاعة القديسين وعن شفاعة والدة الاله بنوع خاص .

فالقديسون ليسوا وسطاء بالمعنى الحرفي للكلمة لأن « الوسيط واحد بين الله والناس وهو الانسان يسوع المسيح » [٢٤] . المسيح هـــو الجسر الوحيد الذي يصل السماء بالارض ، ولكن القديسين مجارٍ حية بها تتدفق نعمة الفادي الوحيد على المؤمنين أخوانهم . ان شفاعة القديسين تستمد

حقيقتها من الشركة التي تجمع المؤمنين أعضاء جسد المسيح . فكما ان الاعضاء تخدم بعضها بعضا في وحدة الجسد ، هكذا فالمؤمنون يساعدون بعضهم بعضاً بالصلاة . لذلك قال الرسول يعقوب : « صلوا بعضكم من اجل بعض »[٢٥] . وكان الرسول بولس يطلب من المؤمنين ان يصلّوا من اجله لكي يعينه الرب على تتميم مهمته الرسولية . فأن كان الرسول بولس محتاجا الى صلاة المؤمنين فكم بالاحرى يحتاج المؤمنون الى صلاة الذين بلغوا بالنعمة الالهية قمم البر والقداسة . فقد كتب يعقوب الرسول : « ان طلبة البار تقتدر كثيرا في فعلها »[٢٥] . لا نستطيع ان ننكر شفاعة القديسين اذا آمنا بحقيقة القيامة واذا اكّدنا ان الكنيسة هي شركة المؤمنين المجتمعين مع من رقدوا على رجاء القيامة . نحن نعلم من الكتاب المقدس ان الموت لا يفصلنا عن المسيح : « لا موت ولاحياة ... ولا علو ولا عمق ولا خليقة اخرى يمكنها ان تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا »[٢٦] ، بل ان الموت بالاحرى يزيل الحواجز التي تحول دون اتحاد النفوس البارة بالرب . « لي اشتهاء ان انطلق واكون مع المسيح »[٢٧] . والاموات في الرب هم احياء بالاله الحي « الله اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ، والله ليس اله اموات بل اله احياء ، فالجميع اذاً عنده احياء »[٢٨] . نحن نؤكد شركة الاحياء مع من رقدوا على رجاء القيامة لأننا بذلك نؤكد غلبة المسيح على الموت صارخين في وجهه مع الرسول بولس : « ابتلع الموت الى غلبة . اين شوكتك يا موت . اين غلبتك يا جحيم »[٢٩] .

نخاطب القديسين في الليتورجيا لأننا نرى بعين الايمان مع يوحنا اللاهوتي نفوس الابرار الذين قتلوا في سبيل الشهادة واقفة بثياب بيضاء امام عرش الله تضرع اليه من اجل ان يسود العدل على الارض[٣٠] . هذا هو سر الكنيسة : « الايقان بأمور لا ترى »[٣١] . « أومن بكنيسة واحدة

جامعة رسولية » اي انا أومن ليس فقط بحقيقة المجتمعين معي في المعبد بل اعرف يقيناً ان حقيقة الكنيسة تشمل الغائبين عنا والاجناد السماوية في حضرة الاله المتجسد، وتشدنا اليهم في شركة واحدة جامعة رسولية ونحـن فيها امام « سلم منصوبة على الارض رأسها يمس السماء . و ... ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها و ... الرب واقف عليها . ما هذا الا بيت الله وهذا باب السماء » [٣٢] .

« بشفاعة والدة الاله يا مخلص خلصنا » . ان ايقونة العذراء حاملة الطفل يسوع تمثل سر التجسد اي الكنيسة المجتمعة حول الكلمة الذي صار جسدا تحتضنه في شركة الايمان والمحبة .وبتولية العذراء الدائمة لا تشير في الكنيسة الشرقية الى حـــالة جسدية بقدر ما هي رمز قداسة الانسانية . « هوذا انا امة الرب » [٣٣] . جواب مريم للملاك هوجواب كل نفس مؤمنة .«امي واخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها» [٣٤] . تحبـل الانسانية بالكلمة كلـــما تقبلتها نفس مؤمنة في بساطة وطهارة قلب [٣٥] .

وفي ايام الآحاد تتخلل الانتيفونا الاولى والثانية آيات المزمور ١٠٢ و ١٤٥ تحدثنا ببركات الرب وتذكرنا انتظار الشعب في العهد القـديم مشدودا نحو وعد الله الخلاصي . ويأتي الجواب لذلك الانتظار متدفقا في « قانون ايمان » الموعظين : « يا كلمة الله الابن الوحيد ... » .

لا بد هنا من الاشارة الى التشابه ما بين قداس الموعوظين المرتكز على الكلمة المحكية والمعلنة وقداس المؤمنين المرتكز على الكلمة المتجسد في الافخارستيا . في قداس المؤمنين يتلى دستور الايمان قبل الذبيحة ،وفي قداس الموعوظين يأتي قبل قراءة الانجيل .

ويعلن الكاهن خلال الأنتيفونات سيادة الله الخالق في ثلاث صلوات قصيرة: « لأن لك العزة ولك الملك والقوة والمجد ... الرب قد ملك والجمال لبس . لبس الرب القوة وتمنطق بها ... لانك اله صالح ومحب للبشر ... يا من هو عجيب في قديسيه .. لأن الرب اله عظيم وملك كبير على كل الارض » .

الكلمة يدعو كل من آمنوا به ليتحدث اليهم في القداس الالهي وليهب نفسه لهم فيبتهل اذ ذاك الكاهن بخشوع : « تمّم طلبات عبيدك مانحا ايانا معرفة حقك » . وتتصاعد ترانيم التطويبات في الانتيفونا الثالثة انشودة النفس التي تمكث في ظل النعمة الالهية .

٤ — الدورة الصغيرة او الايصودن الصغير

وبعد طلبة صغيرة ينشد الجوق طروبارية الاحد اوالعيد ، وفي هذه الاثناء يتم ما يدعى بالدورة الصغيرة او باللغة اليونانية « الايصودن » الصغير . وكلمة « ايصودون » معناها الدخول ، وذلك لانه في المرحلة التي سبقت القرن الثاني عشر كان الكاهن يدخل في هذه الفترة من القداس لبدء خدمته الالهية . وكان الكاهن يلبس الثياب الكهنوتية امام الشعب ، للدلالة على انه منتدب منه لتتميم الخدمة ، ثم يذهب الى غرفة مجاورة فيأخذ الانجيل وبه يرتقي الدرجات المؤدية الى الهيكل امام الشعب ، مبيّناً بذلك أنه يرتقي من الارضيات الى الله ليكون صلة بينه وبين شعبه .

يعلن الموعظون ايمانهم في الانتيفونات ويشاهدون المخلّص في الدورة الصغيرة داخلا الى ملكوته . « لأن المسيح دخل الى السماء عينها ليظهر الآن امام وجه الله لاجلنا » . [٣٦] ان دخول المسيح الى السماء ليس حقيقة

رمزية في القداس فحسب وانما هو استمرار فعل الفداء في اللحظة الحاضرة المكرسة . ندخل جميعنا هنا مع المسيح الى الهيكل السماوي .

يُفتح الباب الملوكي امامنا ويخرج الكاهن من الباب الشمالي رافعا الانجيل امامه يتقدمه الشماس حاملا شمعة مضاءة. يصوّر لنا الايصودن المسيح معلنا كلمته (اي الانجيل) ، والشمعة التي تتقدم الكاهن تشير الى يوحنا المعمدان ، « السراج الموقد المنير »[٣٧] الذي سبق الرب ليهيىء له الطريق . تهيئنا الليتورجيا هنا لسماع الكلمة لنصبح كالارض الخصبة التي تقبل بذار الزارع .

« الحق اقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الانسان »[٣٨] . « وخرج من العرش صوت قائلا سبحوا لألهنا ياجميع عبيده... هللويا فأنه قد ملك الرب الاله القادر على كل شيء ، لنفرح ونتهلل ونعطه المجد لأن عرس الخروف قد جاء وامرأته هيأت نفسها . واعطيت ان تلبس بزا نقيا بهيا لأن البز هو تبررات القديسين »[٣٩] . تجمع العبادة الليتورجية هنا الارض بالسماء . فالملائكة التي تقدم العبادة السماوية الدائمة تأتي لتضم عبادتها الى عبادة الشعب المجتمع . لذلك نطلب في الايصودن : « اجعل دخولنا مقرونا بدخول ملائكة قديسين يشاركوننا في الخدمة وفي تمجيد صلاحك . لانه لك ينبغي كل تمجيد واكرام وسجود » .

واذ نعاين المسيح في بهاء السماء المفتوحة امامنا « نشترك في قداسته »[٤٠] ، فيقول الكاهن : « مبارك دخول قدّيسيك » . في الايصودن دعوة للكنيسة المجتمعة لأن تتنقى وتدخل الى مخدع الختن بصحبة الملائكة والقديسين ، لتلبس حلة العرس ، تلك « القداسة التي بدونها لن يرى احد الرب »[٤١] .

«خلّصنا يا ابن الله يا من هو عجيب في قديسيه نحن المرتلين لك هللويا . . وافتقدنا بصلاحك واغفر لنا ذنوبنا الطوعية والكرهية ، وقدّس نفوسنا واجسادنا وامنحنا ان نعبدك بالبر كل ايام حياتنا » .

يتجلى الاله القديم ، الاحد ، في مجده وسط شركة قديسيه مقرونا بتسابيح الفرح . ويدخل الكاهن بالانجيل من الباب الملوكي الى الهيكل ويمضي وراء المائدة المقدسة قائلا : « مبارك الآتي باسم الرب » . ثم يقف الشماس امام الابواب المقدسة ويقول : « حكمة » ، وهذا دعاء للمؤمنين ليوجهوا انظارهم الى كلمة الله التي تتلى من الانجيل المرفوع امامهم .

هنا نجـد تشابها ثانيا بين قداس الموعوظين وقداس المؤمنين . ففي قداس المؤمنين يقـول الكاهن قبل ان يـدعو الشعب لتناول الكلمة المتجسد : « القدسات للقديسين » ، فيجيب الجوق : « قدوس واحد ، رب واحد ، يسوع المسيح » . وفي قداس الموعوظين وقبل مناولة الكلمة المحكية تذكرنا الليتورجيا اننا نستمد قداستنا اذ «نشترك في قداسته» لذا نتقبل كلمة الانجيل ونحن ننشد : « لانك قدوس انت يا الهنا ولك نرفع المجـد » .

٥ — التريصاجيون او التسبيح المثلث التقديس

ويبدأ الجوق هنا بأنشاد الترنيمة المدعوة باليونانية : «تريصاجيون» اي « التسبيح المثلث التقديس » [٤٢] .

وهذا التسبيح مأخوذ من رؤيا اشعياء اذ رأى عرش الله والملائكة محتفين به وهاتفين : « قدوس ، قـدوس رب الصباؤوت (اي رب الجنود ، رب القوات) ، السماء والارض مملوءتان من مجدك » [٤٣] . وفي هذه الترنيمة تلميح الى سر الثالوث الاقدس الذي لم يكن قد اعلن بعد ،

وذلك بتثليث كلمـة « قدوس »وتوحيد الربوبية (رب الصباؤوت). وهذا التعليم العقائدي عن تثليث الاقانيم في وحدة الجوهر نجـده ايضاً في ترنيم الكنيسة :«قدوس الله ، قدوس القوي ،قدوس الذي لا يموت، ارحمنـــا » .

ولكن التريصاجيون يحتوي ايضـاً على معان روحية تسمو بالمؤمن وتهيئه للاشتراك في قداس المؤمنين . فأن هذه الترنيمة تذكرنا بقداسة الله الفائقة ، الكلية الكمال : « الله نور وليس فيه ظلمة البتة »[٤٤].وهذه القداسة هي مصدر كل قداسة في الملائكة والبشر . امام تلك القداسة الساطعة يعترينا الخوف والرهبة فنصرخ مع اشعياء:«ويل لي اني هلكت لأني انسان نجس الشفتين ... لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود » .[٤٥] وكما تقدم الملاك من اشعياء وبيده جمرة اخذها بملقط من على المذبح ومس بها فمـه وقال : « ان هذه قد مسّت شفتيك فانتزع اثمك وكفّر عن خطيئتك »، كذلك نحتضن نحن ايضا في قداسة الله اذ نصغي لكلامه يحمله الينا الشماس من الباب الملوكي . واذ نشاهد السماء قد اطلّت على الارض،نختطف في بهاء الرؤيا الى ما وراء الحجاب،الى قدس الاقداس،في حضرة الله « ذبيحة حية مقدسة »[٤٦]،تتفجر في ترنيمة التريصاجيون:

« ايهـا الاله القدوس المستريح في القديسين الذي يسبحه السيرافيم بأصوات ثلاثية التقديس ، ويمجده الشاروبيم وتسجد له جميـع القوات السماوية...يا من...قد اهلنا نحن عبيده الاذلاء غير المستحقين ان نقف في هذه الساعة ايضا امام مجد مذبحه المقدس...انت ايها السيد تقبّل من افواهنا ايضا نحـن الخطأة التسبيح المثلث التقديس ... لانك قدوس انت يا الهنا ولك نرفع المجد » .

والتريصاجيون في قداس الموعوظين،كالتسبيح الشاروبيمي في قداس

المؤمنين ،يدخلنا الى شركة قداسة الله : « قدوس الله ،قدوس القوي ، قدوس الذي لا يمـــوت » . الآب مصدر القداسة ، الابن القوي قاهر الموت ، الروح القدس مانح الحياة الابدية . وينحني الــــكاهن ثلاث مرات ويرفع يديه الى العلاء وهو يردد التريصاجيون أمام المائدة المقدسة كما يتجاوب الجوق بسرّ الثالوث اذ يأتي المسيح الممجد ،فيقول الشماس: «مرّ يا سيد» ويمضي الكاهن والشماس وراء المائدة المقدسة ويقول الكاهن: « مبارك الآتي باسم الرب » .

وبعد التريصاجيون واذا حضر القداس اسقف ، فأن هـــذا يبارك الشعب من الباب الملوكي وبيده اليمنى « التريكيريون » أو ثلاث شمعات مضاءة ترمز الى سر الثالوث المقدس وبيده اليسرى « الديكيريون » أو شمعتان مضاءتان ترمزان الى طبيعتي المسيح ،الطبيعة الالهية والطبيعة البشرية . تؤكد الليتورجيا بذلك حضور الله وسط الكنيسة المجتمعة ثالوثاً متساوي الجوهر غير منفصل بشخص يسوع المسيح الكلمة المتجسد الجالس عن يمين الآب والمرسل روحه المحيي في الكنيسة .

وتتلو ذلك بركة الكاتدرا أو العرش وهـــو المكان الرمزي لحضور الله: «مبارك انت الجالس على عرش مجد ملكك والمستوي على الشاروبيم». فتأتي البركة على الشعب المجتمع من على العرش الملوكي: «السلام لجميعكم».

٦ – افخاريستية الكلمة او قراءة الرسائل والانجيل والوعظ

يجتاز الموعوظون الهيكل بالايصودن الصغير حاملين الانجيل أو الكلمة المحكية الى المائدة كما ان المؤمنين يجتازون الهيكل في الايصودن الكبير ويدخلون قدس الاقداس مـــع الكاهن الذي يحمل الخبز والخمر اللذين سيتحوّلان الى الكلمة المتجسد .

فالانجيل هو « خبز الله النازل من السماء » [47] . فانه كما قال يسوع: « من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة ابدية » [48] .قال ايضاً:«من يسمع كلامي ... له حياة ابدية» [49].افخاريستية الكلمة اذن في قداس الموعوظين موازية لأفخاريستية الذبيحة المقدسة في قـداس المؤمنين . الشعب المجتمع في جسد المسيح هـو المكان الذي فيه يعلن الله كلمته ويفسرها . القداس الالهي مفتاح تلك الكلمة المعلنة اذ انه المائدة التي دعي اليها المؤمنون ليتناولوا منها .

جعلت الكنيسة قراءة الانجيل في صلب قداس الموعوظين وارادت بذلك ان تشير الى ان قراءة الكلمة ليتورجيا بحد ذاتها وهي تقود الى معاينة الكلمة المتجسد والتحدث اليه ومجـالسته في عشاء الرب . لذا يعلن الشماس : « حكمة ، فلنصغ ! » . وهي اشارة للمؤمنين كي تتيقظ افكارهم بصورة خاصة . وعندئذ يتلى فصل من الرسائل .

وفي الرسائل نجد مجموعة من التعاليم العقائدية والروحية الملهمة مـن الله ، وأجوبة على المشاكل التي كانت تطرح في الكنائس فجرالمسيحية ، وتوجيهات للسلوك المسيحي في جميـع نواحي الحياة ، فتستنير اذهاننا بالمعرفة الالهية ونثبت في الايمان والرجاء والمحبة .

وفي فترة الخمسين التي تلي عيد الفصح ، وابتداء من هذا العيد ، تتلى كل يوم عوضاً عن الرسائل فصول من كتاب أعمال الرسل وهو كتاب يروي لنا تأسيس الكنيسة يوم العنصرة وانتشارها ويحدثنا عـن حياة المسيحيين الاولين في أورشليم وبنوع خاص عن بشارة بولس. اما كاتبه فلوقا الانجيلي الطبيب اليوناني الاصـل الذي اهتدى الى المسيح وصار تلميذاً لبولس ورفيقاً له في بعض اسفاره .

وقبل تلاوة الفصل المعين يذكر القارىء اسم الرسول اذ ان ذكر

الاسم يعني الاعتراف بحضور المذكور في الكنيسة الجامعة الرسولية المجتمعة، وهو الذي يتكلم بواسطة القارىء. من ميزات الكنيسة الشرقية انها تصر هكذا على ان تؤكد استمرار التراث الشفهي المستمد من الرسل. فالرسول يقرأ ما كتبه اليوم للكنيسة المجتمعة والكنيسة تتقبل رسالته اليوم باللهفة نفسها التي تقبلتها فيها في القرن الاول .

وبعد تلاوة الرسائل يرنم الجوق « هللويا » ثلاث مرات اذ ان هذه ترنيمة الملكوت الآتي : « سمعت صوتاً عظيماً من جمع كثير في السماء قائلا هللويا ... وقالوا ثانية هللويا ... وسجدوا لله الجالس في العرش قائلين آمين هللويا » [٥٠] .

آمين وهللويا هما اللفظتان اللتان لا بديل لهما اذ انهما تعبران عن لغة التسبيح السماوية. ويبخر الشماس المائدة المقدسة من جهاتها الاربع والمذبح المقدس، ويبخر ايقونتي المسيح والعذراء، ثم يبخر الشعب. وهنا يرمز البخور الصاعد الى ان الشعب قد تنقى ببشارة الرسول وتهيأ ليتقبل سر الانجيل.

ويطلب الكاهن : « اطلع في قلوبنا نور معرفتك الالهية الذي لا يضمحل وافتح حدقتي ذهننا لأدراك تعاليم انجيلك » . وتتلخص صلاته هذه سر الكلمة اذ تطلب الكنيسة « النور الذي لا يضمحل » ، أي حضور الروح القدس الذي وعد به يسوع اذ « فتح ذهنهم ليفهموا الكتب وقال ... ها أنا أرسل اليكم موعد ابي . فأقيموا في مدينة أورشليم الى ان تلبسوا قوة من الاعالي » [٥١] . ان نص الحرف الميت يصبح كلمة الله الحية التي توزع على الموعوظين افخاريستية معاشة .

ويتناول الشماس الانجيل المقدس من يدي الكاهن حانياً رأسه أمامه ويقول : « بارك يا سيد المبشر من بشارة الرسول (متى أو مرقس أو لوقا

أو يوحنا) القديس »، فيباركه الكاهن راسماً على رأسه علامة الصليب وقائلا : « يمنحك الله ايها المبشر كلمة بقوة كثيرة لاتمام بشارة ابنه الحبيب ربنا يسوع المسيح » .

ويقبّل الكاهن الانجيل فيقبّل الشماس يده ثم يخرج من الباب الشمالي رافعاً الانجيل أمامه ويمضي الى المنبر تتقدمه شمعتان مضاءتان ويصعد اليه . ويتجه الكاهن نحو الشعب من الباب الملوكي قائلا : « حكمة ، فلنستقم ونسمع الانجيل المقدس . السلام لجميعكم » .

« السلام لجميعكم » هي التحية الليتورجية التي يحيي بها الكاهن الشعب ثلاث مرات في القداس : قبل قراءة الانجيل ، وقبل قبلة السلام وقبل المناولة . وقد وضعت الكنيسة هـــذه التحية في « الاوقات » الثلاثة الرئيسية في القداس اذ ان بها تنسكب النعمة الالهية على الشعب المجتمع . هنا نجد عقيدة أساسية في الكنيسة بالنسبة الى « المكان » الذي يحضر فيه الروح القدس : الشعب المجتمع ، جسد المسيح . يحـــل الروح في الجسد الممجد في حضرة الآب أي في وحدة الثالوث .

« أي بيت دخلتموه فقولوا أولاً سلام لهذا البيت . فأن كان هناك ابن السلام يحل سلامكم عليه » [٥٢] . تمنح الليتورجيا كل من يشترك فيها ان يكون « ابن السلام » ، وهو مدعو بها لأن يكون رسول السلام . وهو وان اشترك فيها « بدون استحقاق » يكون اشتراكه فعل رفض للنعمة الالهية وهو بذلك يرفض ملكوت الله الذي يقترب منه بالليتورجيا [٥٣] . ان كلمة الله الموجهة الينا في الانجيل من خلال الصلاة الليتورجية لا تتطلب منا فقط فهماً وادراكاً ذهنياً . انها دعوة يوجهها الرب يسوع لكلٍ منا شخصياً وينتظر منا جواباً عليها ، جواباً هو التزامنا في تتميم مقاصد الله الخلاصية واشتراكنا في الفداء الذي صنعه يسوع . كلمة الله كلمة

خلاّقة تنفذ الى صميم الكيان لتجدد الانسان بجملته. فاحتكاكنا بالانجيل يبقى سطحياً ان لم يكن للانجيل امتداد في حياتنا، ان لم تتجدد حياتنا بالانجيل، ان لم تصبح كلماته عاملة فينا. لذلك يطلب الكاهن من الرب في الافشين الذي يسبق قراءة الانجيل، ان يجعل من نفوسنا أرضاً جيدة خصبة لبذور الانجيل: «وَضعْ فينا خوف وصاياك الطوباوية لكي ندوس كل الشهوات الجسدية ونسير سيرة روحية معتقدين وعاملين كل ما يرضيك»، فيصبح الانجيل هكذا مدخلا لنا الى الملكوت الذي فينا يبتدىء: «ملكوت الله في داخلكم».

يقتضي اذاً ان نصغي الى الانجيل أصغاءنا الى الرب نفسه الذي يخاطبنا من خلال كلماته، وان نفتح له قلوبنا بتقبل كلي: «تكلم يا رب فأن عبدك يسمع». وهكذا يصبح سماعنا للانجيل احتكاكاً شخصياً بالرب يسوع؛ به نتنقى ونتشدد ونتهيأ لسكنى الرب فينا بسر المناولة.

ثم يأتي الوعظ وهو جزء مهم من قداس الموعوظين، اذ انه توزيع كلمة الله التي تتلى كما ان المناولة توزيع للقرابين التي تقدس. فقمة قداس الموعوظين هو الوعظ، كما ان قمة قداس المؤمنين هي المناولة.

والوعظ جزء لا ينفصل من القداس الالهي وتفرض القوانين الكنسية على الكاهن ان يعظ ليس فقط في كل قداس الهي بل في كل خدمة الهية.

ان كلام الرب مقدم للجميع في الانجيل ولكن الوعظ يوزّع هذا الكلام على المؤمنين وفقاً لحاجاتهم وأوضاعهم ومشاكلهم المختلفة. فالكاهن الواعظ يأخذ من كلام الله الواحد الوارد في الفصل الانجيلي ما تستفيد منه رعيته أكبر استفادة بالنسبة الى مستواها الثقافي ووضعها

الروحي والاخلاقي وحاجاتها الخاصة والمشاكل التي تعترضها والظروف الخـــاصة التى تمر بها . ويهدف الوعظ ليس فقط الى التعليم والارشاد ولكن من غاياته الاساسية ايضاً تحريك نفوس المؤمنين الى التوبةالتي بها يتجددون بكلمة الله وبهـا يتهيأون للاشتراك الفعلي في قداس المؤمنين وفي المناولة التي هي قمته .

ليس الوعظ اذن مجرد تفسير للانجيل ، انما هو توزيع كلمة الرب في ملء المسيح الكامل . يشهد فيه الروح للكلمة شهادة حية اذ يفتح ذهن الشعب المجتمع ليفهموا الكتب [٥٤] . والشعب الذي يسمع الوعظ يعيش ما احس به التلميذان وهما في طريقهما الى عمواس: «الم يكن قلبنا ملتهباً فينا اذ كان يكلمنا في الطريق ويوضح لنا الكتب ؟ » [٥٥] .

ثم يقود الشماس الصلاة المشتركة في الطلبة الكبرى التي تبدأ هكذا: « لنقل جميعنا من كل نفوسنا ومن كل نياتنا لنقل » . ويجيب الشعب :

« يارب ارحم » التي تقال ثلاثا بعد كل طلبة .

ويوجز الكاهن معنى الطلبة الكبرى في الافشين الذي يتلو :

« ايها الرب الهنا تقبل من عبيدك هذا التضرع الابتهالي ، وارحمنا بحسب كثرة رحمتك وأسبغ رأفاتك علينا وعلى كل شعبك المنتظر منك غنى الرحمة » .

وبهذا يشترك الموعوظون في تسبيح الكنيسة ويتقبلون نعمة الرجاء الذي به يؤهلون « في الوقت الملائم لصميم اعادة الولادة ولغفران الخطايا ولسربال عـدم الفساد » . وتنتهي الصلاة من اجل الموعوظين بالطلبة : « لكي يمجدوا هم ايضا معنا اسمك الكلي الاكرام العظيم الجلال ، ايهـا الآب والابن والروح القدس » .

ويصرف الكاهن الموعوظين من الكنيسة قائلا : « ياجميع الموعوظين اخرجوا ». وبعد ان يخرج الموعوظون كانت ابواب الكنيسة تقفل فلا يبقى في الداخل الا المؤمنون . وقد الغي هذا النداء الآن الا انه قد احتفظ به في القداس السابق تقديسه اي البروجيازمينا .

ويرمز صرف الموعوظين من الكنيسة الى ان المؤمنين وحدهم مؤهلون لأن يعاينوا المسيح الذي انتصر على الموت وان يتقبلوا الملكوت الآتي . ويفتح الباب الملوكي وهو يرمز الى المسيح الذي قال : « انا هو الباب . ان دخل بي احد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى » [٥٦] . ان هذا الباب ، اي باب المسيح وملكوته ، لا يفتح الا بواسطة المعمودية والميرون بالروح القدس ، وهو وحده يقود الى الكأس الافخاريستي . يموت الانسان العتيق التائب على عتبة الهيكل فيدخله انساناً جديداً منتصراً على الموت في المسيح ليقف في الهيكل في حضرة المجد الالهي . لذلك فأن الاعلان الذي كان يصحب صرف الموعوظين والذي ينادي به الشماس قبل اعلان دستور الايمان : « الابواب ، الابواب ! » لا يشير الى ابواب المعبد فحسب ، بل الى ابواب الاسرار المقدسة التي بها نختطف خارج التاريخ .

ان المؤمنين الماكثين في الهيكل يَعْبُرون الى ما وراء التاريخ . يوضح لنا قداس الموعوظين سر التجسد في التاريخ بينما يحملنا قداس المؤمنين الى سر تاريخ الفداء في يسوع المسيح الممجد .

وندخل الهيكل مع الشماس ، فيقول الكاهن في افشين المؤمنين الثاني : « اننا نخرّ لك ايضاً ، بل مراراً كثيرة ونجثو لك ساجدين . ونتضرع اليك . . طالبين ان . . . تمنحنا ان نَمْثُل امام مذبحك المقدس غير ملومين

ولا مدينين ... وان نشترك في اسرارك المقدسة غير مدينين فنستحق ملكوتك السماوي » .

نعيش في الليتورجيا كلمة الانجيل الذي يدعونا لا الى دينونة بل الى ان ننتقل « من الموت الى الحياة »[٥٧]،لأن الرب يسوع قد صرّح قائلا: « من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة ابدية » [٥٨] . يدخل المؤمن هكذا بلا دينونة في مجد الملكوت الآتي بواسطة المناولة هذا هو سر الذين «اعطوا سلطاناً ان يصيروا ابناء الله»[٥٩].هم منذ الآن بلا دينونة، شركاء في فرح عرس الحمل .

« قد نظرنا النور الحقيقي » ، هذا ما تترنم به الكنيسة في آخر القداس. وتؤكد الترنيمة التي تدعى بالشاروبيكون ان المؤمنين مماثلين للشاروبيم . هم ايقونتهم الحية على الارض. لذا تدعوهم لان يطرحوا كل اهتمام دنيوي وجميع مخاوفهم وكل جزع متأت من السعي الفردي الى الخلاص اذ ان الكل قد صار واحـــدا ، ولأننا في الليتورجيا نأتي « بقلب واحد » ،«لنستقبل ملك الكل مزفوفاً من المراتب الملائكية بحال غير منظورة » .

« صديق العريس الذي يقف ويسمعه يفرح فرحاً من اجل صوت العريس » [٦٠]. هـــذا هو سر فرح الليتورجيا الذي يدخلنا اليه قداس المؤمنين اذ به نعاين منذ الآن مجد الملكوت منشدين مع يوحنا: « فرحي هذا قد كمل . ينبغي ان ذلك يزيد واني انا انقص » [٦١] .

الحواشي

١ — في صلاة المساء في عيد التجلي
٢ — في الافشين الذي يقوله الكاهن سرا وهو واقف امام المائدة المقدسة قبل قراءة فصل الرسائل
٣ — في صلاة السحر في عيد التجلي
٤ — عبرانيين ٣ : ٤ و ٦
٥ — من ترتيب لبس الشماس والكاهن
٦ — رؤيا ٢٢ : ١٣
٧ — رؤيا ٢٢ : ١٤ — ١٥
٨ — لوقا ٢٤ : ١٥ — ١٦ و ٣٠ — الكيرون من « كايروس » : الوقت . وترتيب اخذ الكيرون هي صلاة تخشعية قبل دخول القداس الالهي ، تحمل الكهنة والمؤمنين الى « وقت ليعمل فيه الرب »، وبذلك تؤكد عملية الفرز عن العالم .
٩ — يوحنا ٢ : ١٩
١٠ — ما يلي حول التقدمة مقتبس عن **مدخل الى القداس الالهي** ، لكوستي بندلي ، ص ٢٣ الى ٢٧ ، منشورات النور، ١٩٦١ .
١١ — عبرانيين ٩ : ١ — ٥ و ٦ — ٩ و ١١ و ٢٥
١٢ — مزمور ٥ : ٧
١٣ — مزمور ٢٦ : ٦
١٤ — مزمور ١١٠ : ٤ وعبرانيين ٥ : ٦
١٥ — اشعياء ٥٣ : ٧ واعمال ٨ : ٣٢
١٦ — اعمال ٨ : ٣٣
١٧ — يوحنا ١٩ : ٣٤ — ٣٥
١٨ — ١ كورنتوس ١٢ : ٢٦
١٩ — مزمور ٤٥ : ١٠
٢٠ — يوحنا ١٢ : ٢٦
٢١ — ٢ كورنتوس ٥ : ٢٠ و ٢١
٢٢ — مزمور ١١٠ : ٣
٢٣ — هوشع ٢ : ١٤ — ١٥ و ١٩ — ٢١

٢٤ — ١ تيموثاوس ٢ : ٥
٢٥ — **يعقوب ٥ : ١٦**
٢٦ — رومية ٨ : ٣٨ و ٣٩
٢٧ — فيلبي ٣ : ٢٣
٢٨ — لوقا ٢٠ : ٣٧ و ٣٨
٢٩ — ١ كورنثوس ١٥ : ٥٤ — ٥٥
٣٠ — رؤيا ٨ : ٣ — ٥ و ١٤ : ٣ — ٥ و ١٩ : ٤ — ٦
٣١ — عبرانيين ١١ : ١
٣٢ — تكوين ٢٨ : ١٢ — ١٣ و ١٦
٣٣ — لوقا ١ : ٣٨
٣٤ — لوقا ٨ : ٢١
٣٥ — يوحنا ١ : ١٣ . انظر في ذلك ايضا
Paul Evdokimov, **L'Orthodoxie,** pp. 148-154
٣٦ — عبرانيين ٩ : ٢٤
٣٧ — **يوحنا ٥ : ٣٥**
٣٨ — يوحنا ١ : ٥١
٣٩ — رؤيا ١٩ : ٥ — ٨
٤٠ — عبرانيين ١٢ : ١٠
٤١ — عبرانيين ١٢ : ١٤
٤٢ — ما يلي هنا حول التريصاجيون مقتبس عما ورد في كتاب كوستي بندلي **حول القداس الالهي** ، ص ٤٠ — ٤٢
٤٣ — اشعياء ٦ : ٣
٤٤ — ١ يوحنا ١ : ٥
٤٥ — اشعياء ٦ : ٥
٤٦ — رومية ١٢ : ١
٤٧ — يوحنا ٦ : ٣٣
٤٨ — يوحنا ٦ : ٥٤
٤٩ — يوحنا ٥ : ٢٤
٥٠ — رؤيا ١٩ : ١ — ٤
٥١ — لوقا ٢٤ : ٤٥ — ٤٧
٥٢ — لوقا ١٠ : ٥ و ٦
٥٣ — لوقا ١٠ : ١١

٥٤ ـــ لوقا ٢٤ : ٤٥
٥٥ ـــ لوقا ٢٤ : ٣٢
٥٦ ـــ يوحنا ١٠ : ٩
٥٧ ـــ يوحنا ٥ : ٢٤
٥٨ ـــ يوحنا ٦ : ٥٤
٥٩ ـــ يوحنا ١ : ١٢
٦٠ ـــ يوحنا ٣ : ٢٩
٦١ ـــ يوحنا ٣ : ٢٩ و ٣٠

قداس المؤمنين

« يا جميع المؤمنين ايضاً وايضاً بسلام الى الرب نطلب » . ابتداء من دعوة الشماس هذه للمؤمنين تقرّب الليتورجيا في العالم ولكن خارج التاريخ اذ ان بعدها الزمني يكتسب معناه من تاريخ فعل الفداء .

فالمؤمنون هم الذين رُسموا بالمعمودية كهنة في المحفل الملوكي. انهم يقربون الخدمة الالهية مع الكاهن وهم بذلك شركاء في الخدمة، في كهنوت الكاهن الاكبر المسيح . هذا ما يعلنه الكاهن في افشين المؤمنين الاول . ثم يقول في افشين المؤمنين الثاني : « وهب ايضاً الذين يصلوّن معنا يا الله، النجاح في المعيشة وفي الايمان وفي الفهم الروحي . وامنحهم ان يعبدوك كل حين بخشية ومحبة » . هذا يؤكد مسكونية القربان الافخاريستي الذي يأتي به الشعب «بفم واحد وبقلب واحد»، ويقربونه على المذبح من اجل العالم، « على كل شيء ومن جهة كل شيء » . فالمسيح لا يختار خاصته ويفرزهم من العالم ولكنه من خلالهم وبواسطة خدمتهم الكهنوتية يخلص العالم ويفتديه .

والى القرن السابع كانت افاشين المؤمنين تقال اذ يأتي المؤمنون بالخبز والخمر الى المذبح فيسلمونها للشماس. هذا ما كان يرمز اليه الايصودن

الكبير.به يقدم ابن الأنسان نفسه فدية عن العالم ، محبة مصلوبة وغذاء للجياع والعطاش الى البر ليحيوا بها فينتصرون على المـوت . « انت المقرِّب والمقرَّب والقابل والموزَّع... التي لك مما لك نقدمها لك على كل شيء ومن جهة كل شيء ». هذا هو سر الثالوث المتساوي في الجوهر من الازل والى الابد ، وهو اتفاق تام كامل بين مشيئة الآب ومشيئة الابن المعلنة بالروح القدس. امام هذا السر المعلن تنهي الكنيسة طلبتها قائلة: « لنودع انفسنا وبعضنا بعضا وكل حياتنا للمسيح الاله » .

١ – التسبيح الشاروبيمي والايصودن الكبير

يفتح الباب الملوكي ويرتل الجوق « الشاروبيكون » اي التسبيح الشاروبيمي :

« ايها الممثلون الشاروبيم سرّيا، والمرنمون التسبيح المثلث تقديسه للثالوث المحيي ، لنطرح عنا كل اهتمام دنيوي لكوننا مزمعين ان نستقبل ملك الكل مزفوفاً من المراتب الملائكية بحال غير منظورة . هللويا . هللويا . هللويا » .

وغاية التسبيح الشاروبيمي [١] اعـداد المؤمنين للدخول في الجزء الجوهري من القداس الالهي الذي فيه تتم استحالة القرابين والمناولة . فالكنيسة تدعو المؤمنين ان يتشبّهوا بالملائكة الذين يحفون بالعرش الالهي مرتلين للثالوث المحيي التسبيح المثلث تقديسه . وهم يتجردون من كل اهتمام ارضي لـكي يتوجهوا بكليتهم الى الرب الذي يحضر بينهم مقدماً نفسه قرباناً للآب من اجلهم ومتحداً بالمتناولين. فالكنيسة تطلب منا في هذه القطعة ان ونُسكت فينا صخب اهتمامات الدنيا ونفهم ان « الحاجة الى واحد » ونتوق الى الرب بملء جوارحنا ونمتثل في ذلك بالقوات الملائكية المحيطة بالرب الآتي .

وفيما ينشد الجوق التسبيح الشاروبيمي ، يتلو الكاهن في الهيكل افشيناً يعلن فيه عدم استحقاقه لخدمة الاسرار الالهية لأن « ليس احد من المرتبطين بالشهوات واللذات الجسدية مستحقاً ان يتقدم اليك او يدنو منك او يخدمك يا ملك المجد » . وهو يطلب ان ينال استحقاقاً بالنعمة الالهية ليقف امام المائدة المقدسة ويقوم بتلك الخدمة التي يرتاع منها الملائكة انفسهم. وهو اذ يطلب ذلك يثق بالنعمة التي منحه اياها الروح القدس بواسطة سر الكهنوت ويعلن ان الرب هـو الكاهن الحقيقي الاوحد وانه هو نفسه يقرب ذاته الى الله الآب بواسطة عبده الخاطىء غير المستحق الذي اقامه على هذه الخدمة ، وانه في آن واحد الكاهن والضحية « لأنك انت المقرِّب والمقرَّب » .

ويبخّر الكاهن الايقونات والشعب من الباب الملوكي قائلا في ذاته مزمور التوبة : « ارحمني يا الله كعظيم رحمتك .. » . ويردد المؤمنون هذا المزمور في قلوبهم ليستعدوا بالتوبة لاقتبال الرب .

في هـذا الجزء من القداس يتحد العالم المنظور بالعالم غير المنظور وتلتصق الارض بالسماء اذ تحضر طغمات الملائكة مشاركة بتسبيحها تسبيح الكنيسة المجتمعة. وتصور لنا الليتورجيا كل ذلك بشكل اوضح في قـداس سبت النور لباسيليوس الكبير اذ ترنم الطروبارية التالية عوضاً عن الشاروبيكون :

« ليصمت كل جسد بشري ، ويقف مائلاً بخـوف ورعدة ، ولا يفتكر في نفسه فكراً ارضياً البتة ، لأن ملك الملوك ورب الارباب يوافي ليُذبح ويُدفَـع طعاماً للمؤمنين ، وتتقدمه مصاف الملائكة وكل الرئاسات والسلاطين ، الشاروبيم الكثيرو العيون ، والسيرافيم ذوو الستة الاجنحة يحجبون وجوههم ويهتفون مرنمين: هللويا هللويا هللويا ! » .

ويخرج الكاهن والشماس من الباب الشمالي حاملين الكأس والقرابين في الايصودن الكبير ويقفان امام الباب الملوكي نحو الشعب قائلين :

« جميعكم وجميع المسيحيين.. ليذكر الرب الاله في ملكوته السماوي كل حين الآن وكل اوان والى دهر الداهرين » .

اما اصل الايصودن الكبير فهـــو انه قبل القرن الثاني عشر كان الــكاهن يتمم التقدمة ، وهي حاليا الجزء الاول من القداس ، في ذلك الوقت ، فيذهب الى غرفة مجاورة للكنيسة تكون القرابين المقدمة من المؤمنين قد وضعت فيها ، فيهيء ما يلزم منها للخدمة الالهية ثم ينقله من تلك الغرفة ويدخل به الهيكل امام الشعب .

واما الآن فلم يبق لهذا الدخول من داعٍ عملي لأن القرابين موضوعة على المذبح ضمن الهيكل ، غير انه قد احتفظ به واصبحت الدورة بالقرابين ذات معنى رمزي يشير الى خروج المسيح من بيت عنيا وتوجـهه الى اورشليم الى الآلام والمـــوت . والشماس والـكاهن اللذان يحمل اولهما الصينية والثاني الكأس يرمزان الى يوسف ونيقوديموس اللذين انزلا جسد يسوع عن الصليب ووضعاه في قبر جديد. اما انحناء المؤمنين عند مرور القرابين فهو يعني اننا نطلب من الـكاهن بهذه الاشارة ان يذكرنا عند تقديم الذبيحة الالهية . وعند وصول الـكاهن والشماس الى الباب الملوكي وبعد ان يذكرا جميع المسيحيين وجميع المؤمنين المجتمعين في الكنيسة والاسقف الذي يتمهان الخدمة بانتداب منـه ، يذكران ايضاً الاحياء والاموات وبنوع خاص هؤلاء الذين قُدمت القرابين من اجلهم .

وعندما يدخلان الى الهيكل توضع الكأس والصينية على « الانديمنسي » وهذه الكلمة تعني « عوض المائـــدة » وهي تشير الى قطعة من القماش

رُسِمَ عليها انزال المسيح عن الصليب لدفنه، ويكون الكاهن قد فتحها على المائدة قبل الايصودن الكبير . أما تسميتها فتعود الى انه يمكن استخدامها لأقامة القداس الالهي في مكان ليس فيه مائدة مكرّسة، مثلا اذا أقيم القداس في منزل من المنازل أو في الهواء الطلق شرط ان يأذن الاسقف بذلك .

ويتضرع الكاهن داخل الهيكل بطلبة اللص على الصليب: « اذكرني يا رب اذا أتيت في ملكوتك »[٢] . ويقول وهو يضع القرابين على الانديمنسي : « ان يوسف المتقي أحدر جسدك الطاهر من العود ، ولفّه بالسباني النقية وحنطه بالطيب ، وجهزه واضجعه في قبر جديد ... عندما انحدرت الى الموت ايها الحياة الذي لا يموت، حينئذ أمّتّ الجحيم ببرق لاهوتك ... » . نعيش فعل الفداء هنا امام « الصلب والقبر والقيامة » من جديد كلما اتينا الى القداس الالهي . ويقفل الباب الملوكي اشارة الى الحجر الذي دحرج على باب القبر .

٢ — صلاة التقدمة او الاستعداد لقانون الشكر

ويعود الشماس أمام الباب الملوكي موجهاً صلاة الاستعداد لقانون الشكر :

« لنكمّل طلباتنا للرب ... »

« من اجل هذه القرابين المكرمة الموضوعة الى الرب نطلب ... »

ثم يقول الكاهن صلاة التقدمة :

« أيها الرب الاله الضابط الكل ... تقبّل ... طلبتنا المقدمة الى مذبحك المقدس ...وأهلنا ان نجد نعمة أمامك لتكون ذبيحتنا حسنة القبول لديك ويحل روح نعمتك الصالح علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة وعلى كل شعبك » .

أمام القرابين المقربة تطلب الكنيسة من الآب ان يرسل روحه القدوس عليها وعلى الشعب المجتمع . وتؤكد العبارة الاخيرة من صلاة التقدمة سر الثالوث الآتي من غير انفصال : « برحمة ورأفات ابنك الوحيد الذي انت معه مبارك مع روحك الكلي قدسه ... الآن وكل أوان والى دهر الداهرين » .

٣ – قبلة السلام

وينزع الحجاب عن الباب الملوكي كالحجر الذي دحرج عن القبر لأن مجد القيامة يحل في الكنيسة بواسطة القربان المقدس . وللمرة الثانية في القداس يقول الكاهن : « السلام لجميعكم » .

هنا تدعو الكنيسة كل مؤمن لأن يكون « ابن سلام » أي اداة لانتشار سلام الله في شعبه . وفي ظل القرابين المقربة نتذكر كلمة الانجيل : « ان قدّمت قربانك الى المذبح وهناك تذكرت ان لأخيك شيئاً عليك فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك . وحينئذ تعال وقدم قربانك»[٣] . وفي خشوع صلاة التقدمة يدعونا الشماس :

« لنحب بعضنا بعضاً ، لكي بعزم واحد نعترف مقرين ... » .

فيجيب الجوق موجزاً دستور الايمان :

« بآب وابن وروح قدس ، ثالوث متساو في الجوهر ، وغير منفصل » .

تجعلنا الليتورجيا هنا أمام سر الايمان :

نحن نحب بعضنا بعضاً ولذلك نعترف ، ونحن قلب واحد ، بحقيقة سر الثالوث . المحبة هي أساس المعرفة المستمدة من الايمان . سر الثالوث هو سر المحبة التي تذهب الى الصليب من اجل الآخر .

« هذه هي وصيتي ان تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم... بهذا أوصيكم ان تحبوا بعضكم بعضاً »[٤]. ويتمم خدام القداس وصية الانجيل اذ يقبّل كل منهم الآخر بعد ان يقبّل القرابين فيقول المتقدم :

« المسيح معنا وفي ما بيننا » .

ويجيب الاصغر :

« كان وكائن ويكون » .

وكما رأينا عندما تحدثنا عن تطور الشكل الليتورجي في القرون الاربعة الاولى كانت قبلة السلام في صلب الليتورجيا يحيّي بها المؤمنون بعضهم بعضاً قبل المناولة معلنين بذلك ان المحبة المعاشة هي أساس الايمان وان محبتنا لله ليست عملية فردية . فهي لا تكتسب معناها الكامل الا اذا مرّت بالقريب. طريقنا الى الله من خلال الآخر محبة تذهب الى الميل الثاني والثالث في فرح ، « لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا »[٥] .

ونحن اذ نتكىء معاً الى العشاء الافخاريستي نعلم يقيناً ان « محبة المسيح تحصرنا »[٦] . وان سر المحبة المصلوبة يفترض انفتاحنا الكلي للآخر ليكون بلا رياء فنتناول الكأس الافخاريستي باستحقاق تام . جذور الايمان ترتوي من تلك المحبة في شركة مسكونية مع القديسين ومع الاجناد السماوية ومع الكون بأسره ونحن في ظل تلك المحبة نتحرر من انفسنا ونتحد بسر الثالوث المحيي .

وهكذا[٧] تربط الكنيسة بين محبتنا بعضنا لبعض وبين ايماننا بالثالوث . فأننا بالمحبة نصبح نحن الكثيرين واحداً بالشركة وعندئذ

يمكننا التأمل في سر الاقانيم الثلاثة التي هي اله واحد . فأن عشنا في المحبة ندرك ماهية حياة الثالوث التي هي حياة محبة: فالآب يعطي ذاته بكليته للابن المولود منه وللروح القدس المنبثق منه وهذا العطاء متبادل. بل يمكننا القول ان الله ثالوث لانه محبة ، والمحبة تفترض أكثر من أقنوم واحد في اللاهوت . ويقول أحد الآباء ان الآب يلد الابن ازلياً ليكون موضوعاً غير متناه لمحبته غير المتناهية . ان بين حياتنا في الشركة واعترافنا بالثالوث علاقة وثيقة . ففي الشركة يزول الفرق بين ما هو لي وما هو لك على حد تعبير سفر أعمال الرسل عندما يصف حياة المسيحيين الاولين فيقول : « وكان لجمهور المؤمنين قلب واحد ونفس واحدة ولم يكن احد يقول عن شيء يملكه انه له ، بل كان كل شيء مشتركاً في ما بينهم » [٨] . فأن عشنا في الشركة يتجلى لنا سر الاقانيم الثلاثة المشتركين في وحدة الجوهر : « كل ما هو لي فهو لك وكل ما هو لك فهو لي » [٩] ، « انا والآب واحد » [١٠] . ويتاح لنا ان نشهد لحياة الثالوث لانها تتجلى فينا . فالكاهن يدعو المؤمنين اذاً ليوحدوا قلوبهم فيؤلفون شركة حقيقية تعلن ايمانهم بالثالوث اذ انها صورة له: «ليكونوا واحداً كما نحن واحد » [١١] .

ثم يعلن الكاهن : « الابواب الابواب بحكمة لنصغ !» ،فيتلى عندئذ دستور الايمان . لقد دخلنا في قداس المؤمنين الذين يؤلفون شركة هي شركة في الحياة،حياة المحبة في المسيح يسوع بالاشتراك في حياة الثالوث ولكنها ايضاً شركة في العقيدة القويمة التي تسلمتها الكنيسة من المسيح والرسل وحافظت عليها بنعمة الروح القدس عبر الاجيال .ولذلك بعد ان دعي المؤمنون الى توثيق شركة المحبة بينهم يدعون الآن الى التعبير عن شركتهم العقائدية. ومن خرج عن هذه الشركة لا يمكنه ان يتناول مع المؤمنين لأن المناولة تعني الاشتراك التام في جسم الكنيسة . ولكن الوحدة العقائدية تستند الى الوحدة الروحية ،فالعقيدة المستقيمة تتجلى

للذين يعيشون ضمن شركة المحبة في الكنيسة . ومع هذه الشركة وعد يسوع ان يكون : « حيثما اجتمع (أي اتحد) اثنان أو ثلاثة بأسمي فهناك اكون في وسطهم » [١٢] ، ولها يكشف أسرار أبيه . ولذلك فالبدع هي في الجوهر نقص في المحبة ، هي في الاساس تفضيل « الأنا » المحدود المنكمش على « وحدة الروح »التي يناشد بولس الرسول المؤمنين ان يحتفظوا بها لئلا يقعوا في تجربة سيطرة الرأي الفردي وبالتالي لكي لا يخرجوا عن نطاق الحقيقة التي لا يعلنها يسوع الا لمن حطم انكماشيته بالمحبة ليعيش في وحدة مع الكنيسة .«ومن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كوثني وعشار » [١٣] . « كنيسة الله الحي هي عمود الحق وقاعدته » [١٤] . ولذلك فالكنيسة تدعو المؤمنين الى توثيق روابط المحبة بينهم قبل ان تدعوهم الى اعلان دستور ايمانهم .

اما قول الكاهن : « الابواب ، الابواب »،فقد تقدم لنا ان أشرنا انه يعني بذلك ابواب الاسرار المقدسة التي بها نختطف خارج التاريخ [١٥] ، كما ان هذه العبارة ترمز ايضاً الى الحدود الواضحة بين الكنيسة والعالم اذ ان الكنيسة في العالم ولكنها ليست من العالم [١٦] .

اما دستور الايمان ، فهو تحديد للعقيدة الارثوذكسية وقد وضع في القرن الرابع لدحض الهرطقات . وكانت قبله دساتير متعددة تستعمل في الكنائس المختلفة وتتفق في جوهرها ، وكان المتقدم الى المعمودية يتلو الدستور المتبع في الكنيسة المحلية ليعلن قبل معموديته اعترافه بالايمان القويم .

وعند ظهور هرطقة آريوس التي انكرت مساواة الابن للآب وضع المجمع الاول المسكوني المنعقد في نيقية سنة ٣٢٥ صيغة دستور موحد للكنيسة كلها أعلن فيه العقيدة المستقيمة التي كانت الكنيسة تعيشها

منذ البدء ، وقد كمّلَ الدستورَ المجمعُ الثاني المسكوني الذي انعقد في القسطنطينية سنة ٣٨١ لدحض هرطقة مكدونيوس الذي انكر ألوهية الروح القدس . ولأجل ذلك يدعى دستور الايمان الذي نتلوه اليوم « دستور الايمان النيقاوي القسطنطيني » . أما كلمة دستور فهي ترجمة الكلمة اليونانية « سيمفولون » ومعناها كلمة التعارف ، لأن المؤمنين بتلاوتهم هذا الدستور يعلنون انتماءهم الى جماعة واحدة .

وفيما يتلى دستور الايمان ، يرفع الكاهن الستار عن القرابين ويرفرفه فوقها مفتوحاً وهو يقول في ذاته : « أومن بأله واحد ... ». وعندما يصل القارىء الى البند الخامس من الدستور : « وقام في اليوم الثالث »، يرفع الستر ويقبّله ويطريه. وهذه المؤشرات الليتورجية ترمز الى قيامة المسيح : رفرفة الستر تشير الى الزلزلة التي سبقت قيامة الرب أما طي الستر فيرمز الى دحرجة الحجر عن باب القبر .

وهكذا بعد ان يوحّد المؤمنون قلوبهم بالمحبة وبعد ان يعلنوا شركتهم العقائدية ، يصبحون مستعدين للدخول في قلب القداس الالهي الا وهو ترتيب سر الشكر .

٤ – قانون الشكر

وبعد تلاوة دستور الايمان يصرخ الشماس :

« لنقف حسناً. لنقف بخوف. لنصغ. لنقدم بسلام القربان المقدس ».

سوف نقدم الى الله الآب مع ذبيحة المسيح القربان الذي هو صورة عن حياتنا ، لأن الخبز والخمر يغذيان تلك الحياة . لذلك ينبغي ان نكون ، جسداً وروحاً ، في موقف استعداد وخشوع . ينبغي ان

« نقف » كما يقف المستعد للسير لأننا سائرون الى الملكوت ، وكما يقف الخادم ايضاً في حضرة سيده . لذا فأن الكنائس الشرقية قـــد خلت تقليدياً من المقاعد .

ويجيب الجوق محدداً ماهية القربان :

« رحمة سلام ، ذبيحة التسبيح » .

« اني اريد رحمـــة لا ذبيحة ومعرفة الله اكثر من محرقات » [١٧]. كلمة الله لهوشع هذه تجد صداها في الانجيل [١٨] ، وتخصص لها الكنيسة احد السامرية في « انتصاف الايام »التي ابتداؤها من القيامة الخلاصية ، وختامها عيد الخمسين الالهي » . «لأن رحمته قـد قويت علينا ...» اذ ان محبته اتت مفتشة عن«نسل حواء التي اخرجت من الفردوس »[١٩]. معنى الرحمة هو في انها تأخذ المبادرة وتسعى الى من بمشيئته اختار ان يعيش خارج الفردوس لتعيده اليه في فرح القيامة .

ويقول يسوع للسامرية :« اعطني لأشرب » . اي ان هبة الخلاص المجانية التي جئت اقدمها لك لا تفرض عليك فرضاً بل تجتذبك بالمحبة :

« الذي حجب الارض بالغيوم ... الراكب على الشاروبيم ،يفاوض امرأة زانية ، يطلب ان يشرب الذي علق الارض على المياه ، يلتمس ماء الذي افاض ينابيع المياه وبحيراتها ، لا يثاره ان يجتذب الحقيقة المقتنصة من العدم المحارب » .

وجواب الكنيسة على هبة الرحمة هو في ذبيحة التسبيح ، هـــو السجود لله بالروح والحق [٢٠] .

« الماء الذي اعطيه يصير... ينبوع ماء ينبع الى حياة ابدية »[٢١].

هذه هي ثمار رحمة السلام التي نتقبلها في القداس الالهي . ويعلن الكاهن ارتكاز هذه الرحمة على سر الثالوث المقدس اذ يقول :

« نعمة ربنا يسوع المسيح ،ومحبة الله الآب،وشركة الروح القدس، لتكن مع جميعكم » [٢٢] .

ثم يتلو حوار بين الكاهن والشعب يوجز معنى الافخارستيا او « سر الشكر » اذ ان ذبيحتنا في الاساس ذبيحة شكر لعمل الثالوث الخلاصي :

– « لنجعل قلوبنا فوق .

– هي لنا عند الرب.

– لنشكرن الرب .

– بحق واجب ان نسجد لآب وابن وروح قدس،ثالوثاً متساوياً في الجوهر وغير منفصل » .

في الافخارستيا نقرّب شكرنا وتسبيحنا لله الآب الخالق الذي منه نستمد كل شيء و « الذي أخرجنا من العدم الى الوجود » . ونسبح الابن الذي بتجسده فدانا ،الذي « لما سقطنا اقامنا » ، والروح القدس « الرب المحيي » الذي « لم ينفك يعمل كل شيء حتى أصعدنا الى السماء ووهب لنا ملكه الآتي »، والذي بحلوله علينا وعلى القرابين المقربة ننال الحياة الابدية ينبوعاً دائم التجدد.في هذا الجزء من القداس نقرّب حياتنا بكاملها قربانا ،« ذبيحة حية مقدسة » على المذبح [٢٣] .

ويتلو الكاهن افشين الشكر :

« بحق وواجب نسبحك ... لأنك انت الاله غير الموصوف الذي لا تحده العقول ، غير المنظور، غير المدرك... انت أخرجتنا من العدم الى الوجود ولما سقطنا أقمتنا ايضاً ... ووهبتنا ملكك الآتي ... نشكرك ... من اجل كل الاحسانات العائدة الينا التي نعلمها والتي لا نعلمها ... ايضاً من اجل هذه الخدمة التي ارتضيت ان تقبلها من أيدينا ، مع انه قد وقف لديك ألوف من رؤساء الملائكة ... بتسبيح الظفر مترنمين وهاتفين وصارخين وقائلين » .

ويجيب الجوق : « قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت ... » .

ان افاشين قانون الشكر حتى الأستحالة موجهة الى الله الآب : « انت وابنك الوحيد وروحك القدوس ».ان المسيح يسوع في القداس الالهي [٢٤] يقدم نفسه الى الآب بواسطة الكاهن الذي يمثل الكنيسة . فالذبيحة ذبيحة الابن المقدمة الى الله الآب من اجل العالم ولذلك فالكاهن اذ يمثل الكنيسة في هذه الذبيحة يتوجه الى الله الآب.ويكمل الجوق كلام الكاهن موضحا ما هوتسبيح الظفر هذا الذي تنشده الملائكة فيذكر النشيد الذي سمع أشعياء الملائكة يرددونه امام عرش الله عندما شاهد رؤياه المذكورة في الاصحاح السادس من كتابه . ولكن الجوق يضيف الى هذا التسبيح الملائكي تسبيحاً بشرياً ردده اطفال اورشليم عند دخول المسيح الاحتفالي اليها في احد الشعانين: «اوصنا في الاعالي، مبارك الآتي بأسم الرب ، اوصنا في الاعالي » [٢٥] . وكلمة اوصنا هي الكلمة العبرانية « هوشعنا » التي معناها « خلصنا يا رب » . اما دمج النشيدين السماوي والارضي،الملائكي والبشري، فهو يشير الى ان السماء والارض اتحدتا بتجسد المسيح وفدائه وان الملائكة والبشر يؤلفون كنيسة واحدة رأسها المسيح الاله الانسان « لكي تسجد لأسم يسوع كل ركبة مما في السماء ومما في الارض » [٢٦] . وان الخدمة الالهية التي تجري

على الارض هي صورة للخدمة الدائمة التي تجري في السماء[٢٧] لأن الكنيسة هي « السماء على الارض » والملائكة يساهمون معنا في الخدمة التي نقيمها .

ان هتاف الجماهير الذي شيّع السيد وهو يدخل أورشليم في القديم في طريقه الى الجلجثة هو الهتاف نفسه الذي تحيي به الكنيسة اليوم الحمل المقرّب في الافخارستيا :

« مع هذه القوات المغبوطة ... نهتف نحن ايضاً... يا من اتى وتمم كل التدبير الذي من اجلنا ، في الليلة التي فيها أسلم ... أخذ خبزاً ... واعطى تلاميذه قائلاً : خذوا كلوا هذا هو جسدي ... مثل ذلك أخذ الكأس ... قائلا : اشربوا منه كلكم ، هذا هو دمي ... » .

ويجيب الشعب « آمين » أي انه يؤكد ايمانه بسر الافخارستيا ويشترك بذلك فيها .

« ونحن لنتذكرنا ... كل ما جرى من اجلنا : الصليب والقبر والقيامة والصعود والمجيء الثاني ... التي لك مما لك ، نقدمها لك على كل شيء ومن جهة كل شيء » .

نحن « نتذكر » أي اننا نعلم يقيناً ان المسيح فيما بيننا . نتذكر ما قاله لنا ونكتسبه حقيقة معاشة : « انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر » [٢٨]. «انا معكم» اليوم، في اللحظة الحاضرة وكل الايام الى انقضاء الدهر . ان ما حدث على الجلجثة لا يحدث الآن من جديد كما حدث في القرن الاول لأن المسيح قدم نفسه « مرة والى الابد » ولأن عبادتنا «غير دموية» أي انها بمثابة ايقونة للعبادة السماوية التي تكلمنا عنها في ما سبق . انها عمل الفداء الازلي في بعده التاريخي أي في سر الافخارستيا المعاشة. وكما ان الايقونات نوافذ نطل منها على العالم السماوي فالليتورجيا ايضاً نافذة نختطف بها خارج التاريخ ونعيش فعل الفداء من جديد .

المسيح وحده هو الكاهن والذبيحة ، المقرِّب والمقرَّب وأما المؤمنون أعضاء جسده فهم أجزاء القربان المقرَّب ذبيحة للآب وبذلك هم شركاء في مجد المسيح الظافر .

ويجيب الشعب موجزاً هدف الافخارستيا : « اياك نسبح . اياك نبارك . اياك نشكر يا رب » .

ثم تتلو صلاة الأستحالة التي بها تكرس القرابين ويدعو بها الكاهن والشعب الروح القدس ليحل عليها ويقدسها ويقدس الشعب المجتمع :

« نطلب ونتضرع ونسأل : أرسل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة ... أما هذا الخبز فجسد مسيحك ... وأما ما في هذه الكأس ، فدم مسيحك ... باركهما يا سيد كليهما محوّلاً اياهما بروحك القدوس » .

ويقول الشماس : « آمين . آمين . آمين» . وكلماته هذه ختم الثالوث القدوس للسر الذي يكمّل أمام الشعب . نحن الآن سريا على جبل الجلجثة عند أقدام صليب الرب ،واذ لنا هذا الشفيع الكلي الاقتدار، ابن الله المقرَّب من اجل خطايانا ، فلنا دالة لكي نطلب من الآب بأسمه كل شيء حسب وصية السيد : « كل ما طلبتموه من الآب بأسمي تنالونه » [٢٩] . ولكن الكاهن ، قبل ان يتضرع الى الآب من اجل حاجات العالم ، يشكره من جديد على بركاته ، لأن الذبيحة في الاساس ذبيحة شكر ، فيقول :

« ايضاً نقرّب لك هذه العبادة الناطقة من اجل المتنيحين بأيمان ، الاجداد والآباء ورؤساء الآباء والانبياء والرسل والكارزين والمبشرين والشهداء والمعترفين والنساك وكل روح صديق توفي بأيمان . وخاصة من

اجـل الكلية القداسة الطاهرة الفائقة البركات المجيدة ، سيدتنا والدة الاله الدائمة البتولية مريم . ومـــن اجل القديس يوحنا النبي السابق والصابغ والقديسين المجيدين الرسل الكلي مديحهم والقديس (فلان) الذي نقيم تذكاره الآن وجميع قديسيك » .

« عجيب الله في قديسيه »، فأنه بموته على الصليب رفع المؤمنين الى القداسة ، « جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه » [٣٠] . ان مريم العذراء والقديس يوحنا المعمدان همـــا باكورة القديسين ، يقودان الكنيسة جمعاء في الافخارستيا، في صلاة مسكونية من اجل الاحياء والاموات ومن اجل العالم .

ويوجز الكاهن الصلاة بالعبارة التالية :

« وأرسل مراحمك علينا جميعنا وأعطنا ان نمجد بفم واحد وقلب واحد ونسبح اسمك الكلي الاكرام والعظيم الجلال ، أيها الاب والابن والروح القدس ، الآن وكل اوان والى دهـر الداهرين »،مشيراً الى ان الافخارستيا انما هي بالأساس هبة الثالوث غير المنفصل .

٥ — الاستعداد للمناولة

ويعيد الكاهن طلبات تلاها سابقاً وفيها يبتهل من اجل احتياجاتنا الروحية ومن اجـل سلام العالم ، وهي طلبات مذكورة في كل الخدم القديمة في الصيغة نفسها تقريباً: «ان يكون نهارنا كله كاملاً مقدساً ... ملاك سلام مرشداً أميناً ... مسامحة خطايانا وغفران زلاتنا ... » . وتنتهي هذه الطلبات بالأعلان : « بعد التماسنا الاتحاد في الايمان وشركة الروح القدس ،لنودع أنفسنا وبعضنا بعضاً،وكل حياتنا للمسيح الاله».

لقد اعلن المؤمنون دستور ايمانهم وأتوا مستجيبين للدعاء « لنحب

بعضنا بعضاً » ، لذلــــك فهم الآن « يتجاسرون » ان يأتوا الى الآب ويعترفوا بأبوبته ، فيقول الكاهن في صلاته :

« ايها السيد المحب البشر لك نودع كل حياتنا ورجائنا ... فاجعلنا مستحقين تناول أسرارك السماوية الرهيبة ، أسرار هذه المائدة الطاهرة الروحانية ، بضمائر نقية ...وأهلنا أيها السيد ان نجسر بدالة لندعوك اباً غير مدينين،أيها الاله السماوي ونقول :ابانا الذي في السماوات...».

ان أنتظار المناولة يتدفق رجاء في كلمات الصلاة الربانية ، وقـــد وضعت هـــذه الصلاة في الليتورجيا سابقة للمناولة لأن خبزنا اليومي الجوهري هو خبز القربان . وهو خبز الغد ، الخبز الآتي،خبز الملكوت المعطى لنا اليوم .

ثم يعلن الشماس : « لنصغ »،طـــالباً منا ان نوجه كل انتباهنا الى الاستعداد للمناولة التي قد اقترب وقتهاوان نتحـوّل عن كلفكر أرضي لنتجه بكليتنا الى الرب الذي نحن مزمعون ان نستقبله في قلوبنا .

حان الوقت الذي فيه نتحد جميعنا في المسيح يسوع.ويقول الكاهن اذ يرفع الحمل ، خبز الحياة : « القدسات للقديسين » .

ويجيب الشعب : « قدوس واحد ، رب واحد ، يسوع المسيح » . يذكـّرنا هذا المقطع من الليتورجيا بما قاله أشعياء اذ سمع نداء السيرافيم في الهيكل : « ويل لي اني هلكت لأني انسان نجس الشفتين ... لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود » [٣١] .

وفيما يرنم الجوق ترنيمة الكينونيكون ، أي ترنيمة المناولة ، وهي مقطع من المزامير يختلف مع الايام والاعياد والمواسم الطقسية ،

تجري في الهيكل مناولة الكاهن . وتأتي مناولة الكاهن لتؤكد للشعب ما قاله الملاك لأشعياء : « ان هذه قد مست شفتيك فانتزع أثمك وكفر عن خطيئتك » [٣٢] .

ويجزىء الكاهن « الحمل » أربعة أجزاء قائلاً :

« يفصّل ويجزأ حمل الله الذي يفصّل ولا ينقسم ، الذي يؤكل منه وهو لا يفرغ أبداً » .

في هذا موجز لمعنى الافخارستيا : ان الحمل غير المحدود بالزمان ولا بالمكان، يفصّل ويجزأ كل يوم من جديد وهو لا يفرغ أبداً ، وكل جزء منه يقدم لنا ملء المسيح .

« كمّل يا سيد الكأس المقدسة » .

ويتناول الكاهن الجزء الاعلى من الحمل ويضعه في الكأس قائلا : « كمال كأس الايمان بالروح القدس » .

ثم يتناول الشماس اناء الماء الحار المعروف بالزاون ويقول للكاهن : « بارك يا سيد الماء الحار».فيباركه الكاهن ويسكب الشماس الماء الحار في الكأس بشكل صليب قائلا:«حرارة ايمان مستوعبة الروح القدس».

وتقليد الزاون هذا يعود الى النص الوارد في رسالة يوحنا الاولى: « هذا هو الذي أتى بماء ودم يسوع المسيح ... والروح هو الذي يشهد » [٣٣] . وهو يرمز الى حلول الروح في الكنيسة والى حلوله في المؤمنين بواسطة جسد يسوع المسيح ودمه اذ ان الكنيسة المجتمعة هي جسد المسيح الممجد المملوء بالروح القدس في عنصرة دائمة التجدد .

٦ – المنـــاولة

ان الشعب مجتمع الآن كالنسوة حاملات الطيب عند القبر . وترمز الشمعة المضاءة عند الباب الملوكي الى انتظارهن ، وهو انتظار العذارى العاقلات للعريس بأسرجتهن المهيأة والمضاءة . ويفتح الباب الملوكي كما فتح الملاك جبرائيل باب القبر مدحرجاً الحجر ، ويقف الـكاهن امام الشعب رافعـاً الكأس . يظهر المسيح المنتصر للتلاميذ ليمنحهم الحياة الابدية فيغمر الشعب بنور مجد فجر القيامة :

ويقول كلٌ في قلبه مع الـكاهن صلاة المناولة :

« اني أومن يا رب وأعـــترف بأنك انت في الحقيقة المسيح بن الله الحي ، وانك اتيت الى العالم لتخلص الخطأة الذين انا اولهم . وأومن ايضاً بأن هذا هو جسدك الطاهرنفسه وهذا هو دمك الكريم عينه... لا تكن لي مناولة اسرارك المقدسة ايها الرب لمحاكمة او لدينونة ، بل لشفاء النفس والجسد » .

ان الشعور بالتواضع العميق امام سرالتجسد والصلب والقبر والقيامة يتجلى في طروباريات المناولة :

« لقد اشغفتني بشوقك ايها المسيح ، وحولتني بعشقك الالهي ... اهلني ان امتلىء تنعماً بك لكي اعظم حضوريك وانا طرب... كيف أدخل انا غير المستحق في بهاء قديسيك . فأني ان تجرأت على الدخول معهم يبكتني لباسي اذ ليس هو لباس العرس ... » .

وفي وسط الايقونسطاس ايقونة المسيح محاطاً بالعـــذراء وايقونة يوحنا المعمدان وكلتاهما تشيران في آن واحد الى الدينونة والى عرس

الحمل . ونحن اذ نقبل للمناولة نعيش الدينونة والعرس في اللحظة نفسها وننتقل بينهما في دهشة وارتعاد مقدس .

ويقف الكاهن في الباب الملوكي [٣٤] ويرفع الكأس بين يديه ويقول: « بخوف الله وايمان ومحبة تقدموا » .

ويهتف المؤمنون بفرح محيين قيامة المسيح : « الله الرب ظهر لنا ، مبارك الآتي بأسم الرب » .

عندئذ يتقدم المؤمنون فيناولهم الكاهن جسد الرب ودمه معاً بالملعقة قائلا عند مناولة كل واحد منهم : « يناول عبد الله (فلان) جسد ودم ربنا والهنا ومخلصنا يسوع لمغفرة الخطايا ولحياة ابدية » ثم « هذه قد لامست شفتيك تنتزع آثامك وتطهرك من خطاياك » . وفيما تجري المناولة يرنم الجوق « اقبلني اليوم شريكا لعشائك السري يا ابن الله . . . » .

وبعد انتهاء المناولة يبارك الكاهن الشعب قائلا : « خلص يا رب شعبك وبارك ميراثك » .

وهنا يدعو الكاهن المؤمنين « شعب الله » لأن تناولهم جسد الرب ودمه جعل منهم شعباً بكل معنى الكلمة ، اي فئة متحدة مرتبطة . فالمؤمنون يأتون الى الكنيسة متفرقين بسبب اختلاف بيئاتهم وامزجتهم وثقافتهم وآرائهم ومصالحهم ، ولكن اتحادهم بالرب في سر المناولة يوحّدهم بعضهم مع بعض اذ يجدد صلتهم بالرأس الذي هو يسوع ، حسب قول الرسول : « اننا نحن الكثيرين خبز واحد ، جسد واحد لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد » [٣٥] .

نشير الى المناولة على انها « سر الشكر » ، وهذا ما يدعونا اليه الكاهن ،

«لنشكر الرب» من اجل هبته في ما «على الارض كـَـرْبُ أُممٍ بحَيَرَة» [٣٦] . الافخارستيا هي قمة خدمتنا اذ نجتمع للعبادة ، هي اقصى ما في طاقتنا ان نرفعه الى الآب من تسبيح وشكر .

يرفع الكاهن الشكر عنه هو وعن كل من اتى للعبادة ، وحتى عن الذين لم يتدربوا بعد على الصلاة . وهو بذلك يشكر الله من اجل الحياة بأسرها اذ يرفع الكأس قائلا : «التي لك مما لك نقدمها لك على كل شيء ومن جهة كل شيء ». حياة الكاهن بجملتها مرفوعة الى الله ذبيحة حية في الكأس ، كأس الحمل المقرَّب ذبيحة ليفتدينا . ونحن اذ ننضم الى الكاهن في خدمته هذه نقرّب انفسنا في محبة شاكرة ترافق سيدها على درب الجلجثة اذ قد اجتذبنا اليه في مجد الصليب وفرحه ، ونحن بذلك جسد واحد لنكون « مقدسين في الحق » الذي يحرر [٣٧] .

في المناولة نلقّح بالمسيح ونتحدبه . لذا يوصي الاباء بالمناولة المتكررة . وقد قال القديس باسيليوس في ذلك : « انه لحسن جـــدا ومفيد ان يتناول الانسان كل يوم جسد المسيح ودمه المقدسين ... ونحن نتناول الاسرار الطاهرة اربع مرات في الاسبوع ، الاحـد والاربعاء والجمعة والسبت وايام الاعياد » [٣٨] .

يأتي البعض الى المناولة « دون استحقاق » ، اي دون توبة حقيقية ومن غير ان يصمموا فعلا على ان يجاهدوا كي يحفظوا في حياة قداسة مرفوعة الى الله في فعل شكر متواصل. يقتربون من جسد الرب بفضل العادة ليتمموا « واجباتهم الدينية » وخصوصاً ايام الاعياد . ولكن هنالك الذين يأتون وهم بحاجة ماسة الى جسد الرب كي يحفظوا به مقدسين ، كي يستمدوا منه ثباتا يحاربون به قوى الشر في حياتهم . وكل كاهن لا

يعي ذلك فيقف في البـــاب الملوكي في القداس الالهي وفي نفسه ارادة صادقة ليحمي القربان المقدس من « القبلة الغاشة » ، فيقول . « بأيمان وخوف ومحبة تقدموا » ، وهو يرفع الكأس مغلقة ، فأنه بذلـــك يغلق باب الملكوت في وجه نفس تائبة .

وبعد المناولة يدخل الكاهن الى الهيكل ويضع في الكأس المقدسة الاجزاء التي تمثل المؤمنين احيـاء وامواتا قائلا « :اغسل يارب بدمك المقدس خطـــايا عبيدك المذكورين ههنا بشفاعات والدة الله وجميـــع قديسيك » . في القداس الالهي تغسل خطايا المؤمنين احياء وامواتا بدم الحمل الذي لا عيب فيه والرافع خطايا العالم ، اذ انه استمرار لذبيحة الصليب وتوزيع للنعمة المتدفقة منها . المؤمنون هم «هؤلاء الذين اتوا من الضيقة العظيمة وقد غسلوا ايديهم وبيضوا ثيابهم في دم الخروف » [٣٩].

ثم يبخر الكاهن الكأس المقدسة ثلاث مرات قائلا: « ارتفع اللهم على السموات وليكن مجدك على جميع الارض » ، وفي هذه الاثناء يرتل الجوق: «قد نظرنا النور الحقيقي واخذنا الروح السماوي ووجدنا الايمان الحق فلنسجد للثالوث غير المنفصل لأنه خلصنا » .

ان المناولة تنير نفوسنا بنور الرب وتسكن في قلوبنا الروح القدس وتجدد ايماننا وتقويه وتجعلنا هياكل للثالوث الذي باشتراكنا في حياته الالهية نخلص ونتأله .

وفي هـــذه الاثناء ينقل الكاهن الصينية المقدسة وعليها النجم والاغطية ويضعها على المـذبح . ثم يسجد ثلاث سجدات امام المائدة ويتناول الكأس المقدسة ويقول سراً: « تبارك الله الهنا »،ثم يكمل جملته معلناً وهو واقف في الباب الملوكي وملتفت الى الشعب : « كل حين الآن

وكل اوان والى دهر الداهرين » . ويعيد ما بقي من القرابين الى حيث كانت قبل قداس المؤمنين على المذبح .

وهــذا الظهور الثاني للقرابين يرمز الى صعود الرب الى السماء امام تلاميذه ، كما تشير العبارة التي يتلفظ بهـــا الكاهن « ارتفع اللهم على السماوات ... » الى ذلك ايضاً . ان هـــذا الصعود يجري بالمناولة في كل مؤمن بصورة سرية اذ انه ،باتحاده بالمسيح اصبح جالساً معه سرياً عن يمين الآب ومستقراً في قلب الله . هذه هي « السماوات » : قلب الله وحياته ومجده حسب قول الرسول: «حياتكم مستترة بالمسيح في الله»[٤٠]. لذلك يفترض في كل مؤمن ان يعيش ، وهو على الارض ، سماوياً ، اي ان ينظر الى كل امر بمنظار الله اذ انه يتجدد بالمناولة فيبعث فيه المسيح من جديد في فعل تجسد دائم .

٨ – الصلوات الختامية [٤١]

وكما اختفى الرب عن تلاميذه بعد صعوده ، هكذا تختفي القرابين عن عيوننا . ولكن المسيح بعد صعوده اصبح بواسطة الروح القدس الذي ارسله على تلاميذه اقرب اليهم مما كان وهو معهم في الجسد [٤٢] . هكذا ايضاً فالرب يسكن فينا بالمناولة بصورة غــير منظورة ويصبح اقرب الينا من انفسنا ، لذلك يهتف الكاهن :

« اذ قد تناولنا اسرار المسيح الالهية المقدسة الطاهرة غــير المائتة السماوية المحيية الرهيبة فلنستقم ونشكر الرب حق الشكر » .

ويتابع قائلا :

« بعد سؤالنا ان يكون نهارنا كله كاملا مقدساً سلامياً وبلا خطيئة لنودع انفسنا وبعضنا بعضا وكل حياتنا للمسيح الاله » .

يجب ان يستمر القداس الالهي في حياتنا كلها ، فتكون بجملتها مقدمة للرب مع المسيح يسوع ، مطهرة باشتراكنا في صليبه ، مشرقة بنور قيامته ، مرفوعة معه الى السماء ، ويكون كل عمل نقوم به عائداً لمجد الله حسب قول الرسول: «فأذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله » [٤٣] . ونحن نطلب من الرب ان يجعل نهارنا كله أهلا لأن يكون امتداداً للذبيحة الالهية التي اشتركنا فيها ، فيكون كاملاً ومقدساً وسلامياً .ولكن ذلك لا يتم الا اذا سلمنا أنفسنا وحياتنا للمسيح الاله وسلّطنا الرب الذي اقتبلناه بالمناولة على كياننا كله ليضيئه بنوره ويشدده بقوته وينقيه بنعمته ويلهبه بنار محبته التي تحرق كل أنانية وتبيدها .

وبما ان المسيحي مرتبط أرتباطاً وثيقاً بأخوته الذين يؤلفون معه جسداً واحداً،« من يضعف ولا أضعف أنا،من يعثر ولا التهب انا!»[٤٤]، لذلك يدعو الكاهن كلاً من المؤمنين ان يجعل لا حياته هو فحسب بل حياة الآخرين ايضاً وديعة بين يدي الرب .

فيجيب الشعب : « لك يا رب » ، معلناً تلبيته لدعوة الكاهن .

ويطوي الكاهن الانديمنسي ويرسم عليه علامة الصليب بالانجيل المقدس قائلا : « لأنك انت تقديسنا ولك نرسل المجد أيها الآب والابن والروح القدس الآن وكل اوان والى دهر الداهرين » معلناً اننا نستمد قداستنا من المسيح الذي من أجلنا بذل نفسه كما قال الرسول : « أحب المسيح الكنيسة وبذل نفسه لأجلها مطهراً إياها » [٤٥] . وما القداس الالهي سوى امتداد لهذا البذل الذي به نتقدس.ويضع الكاهن الانجيل المقدس فوق الانديمنسي .

ويجيب الشعب : « آمين » .

فيقول الكاهن : « لنخرج بسلام الى الرب نطلب » .

وهكذا يعلن حلول نهاية الخدمة ويعد المؤمنين للانصراف من الكنيسة بسلام ، أي بتلك المصالحة مع الله وبسلام النفس وقد حازوا عليها بالمناولة . ويضيف الكاهن «الى الرب نطلب»، محرضاً المؤمنين ان يتوجهوا الى الرب ليتضرعوا اليه ، فأنهم خارجون بعد قليل الى العالم ليتابعوا فيه جهادهم المسيحي ، جهاد المحبة وسط الاخطار والتجارب المتنوعة ، عالمين يقيناً ان الرب معهم .

ان خروج المؤمنين من الكنيسة بعد ان تعرض أمامهم القرابين المرة الاخيرة يشير الى خروج الرسل الى العالم بعد صعود المخلص الى السماء. وكما ان الرب بعد صعوده صار مع تلاميذه واحداً بالروح القدس الذي أرسله ، « ها أنا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر » [٤٦] ، كذلك يصبح هو بالمناولة واحداً مع شعبه اذ يضم المؤمنين اليه ويضمهم بعضهم الى بعض حسب قوله في صلاته الاخيرة الى الآب : « أنا فيهم وانت فيّ ليكونوا مكملين في الوحدة » [٤٧] .

ويشير خروج الكاهن من الباب الملوكي ووقوفه مع الشعب الى هذا الاتحاد الوثيق . « يختلط » بالشعب وهو يتلو هذا الافشين : « يا رب يا رب يا من تبارك الذين يباركونك ... » ،طالباً الى الله ان يحفظ شعبه الذي اتخذه لنفسه وان يباركه ويخلصه ويقدسه ويعضده وان يهب السلام للعالم وللكنيسة .

وبعدانتهاءهذا الافشين يقول الجوق : « آمين » ، ثم ينشد: « ليكن اسم الرب مباركاً من الآن والى الدهر » . وهو بذلك يجيب على قول

الـــكاهن « يا من تبارك الذين يباركونك » ، فيبارك المؤمنون الرب لينفتحوا الى اقتبال بركته الالهية وليشكروه على كل عطاياه وبنوع خاص على الذبيحة الالهية التي اشتركوا فيها .

ويدخل الـــكاهن من الباب الملوكي الى الهيكل ويمضي الى المذبح المقدس ويقول أمامه هذا الافشين سراً :

« ايها المسيح الهنا ، بمـا انك كمال الناموس والانبياء، يا من اتممت التدبير الابوي ، املأ قلوبنا فرحاً وسروراً كل حين الآن وكل اوان والى دهر الداهرين، آمين » . وهكذا يطلب من الرب يسوع الذي تمم كل ما رسمه الآب لخلاصنا وحقق كل ما ورد في الناموس والانبياء ،ان يمـــلأ المؤمنين الذين اقتبلوه في قلوبهم من فرحه الذي يستقر في اعماق الكيان فلا تستطيع اضطرابات العالم واحزانه والآمه ان تزيله حسب وعد السيد : « ولن ينزع احـد فرحكم منـكم » [٤٨] ، بل تزيده وتنميه وتعمقه لأنهـا تمكن المؤمن ان يزداد تجرداً عن ذاته والتصاقاً بالرب مصدر الفرح .

ثم يهتف الـكاهن : « من الرب نطلب » .

فيجيب الجوق : « يا رب ارحم » .

ويبارك الكاهن الشعب قائلا : « بركة الرب ورحمته تحلان عليكم بنعمته الالهية ومحبته للبشر كل حين،الآن وكل آن والى دهر الداهرين».

فيجيب الجوق : « آمين » .

ويتلو الـكاهن صلاة الختم ، وفيها يطلب من الرب يسوع ان يرحمنا ويخلصنا بصـلاحه ومحبته للبشر متقبلا بشفاعة والدة الاله وجميـــع

القديسين الحاضرين معنا سرياً اعضاء الكنيسة الظافرة والمتحدين بنا نحن اخوتهم اعضاء الكنيسة المتجندة في المسيح يسوع حسب قول الرسالة الى العبرانيين : «قد أتيتم الى جبل صهيون والى مدينة الله الحي أورشليم السماوية والى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة ابكار مكتوبين في السماوات (وهم المؤمنون الاحياء على الارض) والى الله ديان الجميع والى أرواح أبرار مكملين(وهم القديسون الظافرون)والى وسيط العهد الجديد يسوع » [٤٩] .

ثم يختتم قائلا : « بصلوات آبائنا القديسين أيها الرب يسوع المسيح الهنا ارحمنا وخلصنا » . فيجيب الجوق : « آمين » .

ويختتم القداس هكذا ٠

ثم يتقدم المؤمنون ليأخذوا من الكاهن الاجزاء الباقية على المذبح من القربانة التي أخذ منها الحمل،وهذا الجزء الذي يوزع يدعى«البروتي»، وهي كلمة يونانية معناها « اولى » ، لأنه يؤكل أولاً قبل طعام سواه وهو أثر لموائد المحبة التي كانت تقام بعد القداس . ثم يخرج المؤمنون بسلام الرب ليتابعوا بنشاط متجدد جهادهم اليومي ، جهاد المحبة في العالم ، وليحملوا الرب يسوع الى البشر اخوتهم .

الحواشي

١ — ما يلي هنا حول التسبيح الشاروبيمي مقتبس عما ورد في كتاب كوستي بندلي ، **مدخل الى القداس الالهي** ، ص ٤٨ — ٥٠
٢ — متى ٢٣ : ٤٢
٣ — متى ٥ : ٢٣ — ٢٤
٤ — يوحنا ١٥ : ١٢ و ١٧
٥ — رومية ٥ : ٥
٦ — ٢ كورنتوس ٥ : ١٤
٧ — ما يلي حول الاستعداد لقانون الشكر مقتبس عن كتاب كوستي بندلي ، **مدخل الى القداس الالهي** ، ص ٥٢ — ٥٧
٨ — اعمال ٤ : ٣٢
٩ — يوحنا ١٧ : ١٠
١٠ — يوحنا ١٠ : ٣٠
١١ — يوحنا ١٧ : ٢٢
١٢ — متى ١٨ : ٢٠
١٣ — متى ١٨ : ١٧
١٤ — ١ تيموثاوس ٣ : ١٥
١٥ — انظر في ذلك الفقرة حول « افخاريستية الكلمة » ، ص ١٥٧
١٦ — انظر في ذلك الفقرة حول « المكان المقدس » ، ص ١٣١
١٧ — هوشع ٦ : ٦
١٨ — متى ٩ : ١٣ و ١٢ : ٧
١٩ — من صلاة المساء في احد السامرية
٢٠ — يوحنا ٤ : ٣
٢١ — يوحنا ٤ : ١٤
٢٢ — ٢ كورنتوس ١٣ : ١٣
٢٣ — رومية ١٢ : ١
٢٤ — ما يلي حول التسبيح المثلث التقديس مقتبس عن كتاب كوستي بندلي ، **مدخل الى القداس الالهي** ، ص ٦٣ — ٦٥
٢٥ — متى ٢١ : ٩
٢٦ — فيلبي ٢ : ١٠

٢٧ — انظر في ذلك رؤيا ٤ و ٥
٢٨ — متى ٢٨ : ٢٠
٢٩ — يوحنا ١٦ : ٢٣
٣٠ — ٢ كورنثوس ٥ : ٢١
٣١ — اشعياء ٦ : ٥
٣٢ — اشعياء ٦ : ٧
٣٣ — ١ يوحنا ٥ : ٦
٣٤ — ما يلي حول مناولة الشعب مقتبس عن كتاب كوستي بندلي ، **مدخل الى القداس الالهي** ، ص ٨٤ — ٨٧
٣٥ — ١ كورنثوس ١٠ : ١٧ انظر في ذلك ايضا في مجلة **النور** ، « سر الشكر » ، للارشمندريت جورج خضر ، و « المناولة المتواصلة » ، للارشمندريت افسابيوس متوبولوس ، العدد (٩) ، السنة الثالثة ، ١٩٤٧
٣٦ — لوقا ٢١ : ٢٥
٣٧ — يوحنا ١٧ : ١٩
٣٨ — باترولوجيا — ميني الجزء ٣٢ ، الرسالة ٩٢ ، كما ورد في المقال حول « المناولة المتواصلة » للارشمندريت افسابيوس متوبولوس في مجلة **النور** ، السنة الثالثة ، العدد ٩ ، تشرين الثاني ١٩٤٧ .
٣٩ — رؤيا ٧ : ١٤
٤٠ — كولوسي ٣ : ٣
٤١ — ما يلي مقتبس عن كتاب كوستي بندلي « **مدخل الى القداس الالهي** » ، ص ٨٧ — ٩٣ .
٤٢ — يوحنا ١٦ : ٧ و ٢٢ واعمال ١ : ٨
٤٣ — ١ كورنثوس ١٠ : ٣١
٤٤ — ٢ كورنثوس ١١ : ٢٩
٤٥ — افسس ٥ : ٢٥ و ٢٦
٤٦ — متى ٢٨ : ٢٠
٤٧ — يوحنا ١٧ : ٢٣
٤٨ — يوحنا ١٦ : ٢٢
٤٩ — عبرانيين ١٢ : ٢٢ — ٢٤

المصادر

أولاً – المصادر العربية

يوحنا الذهبي الفم ، **القداس الالهي** ، منشورات النور

نيقولاي أثناسييف ،**مائدة الرب**،(مترجم)منشورات النور،١٩٦٩

كوستي بندلي ،**مدخل الى القداس الالهي**، منشورات النور، ١٩٦١

طريق الامان لابناء الايمان ، جمعه وعـــني بتنسيقه الاب ابراهيم عربيلي ، ١٩٦٠

رهبنة دير مـار جرجس الحرف ، **مـــن اجل فهم الليتورجيا وعيشها** ، منشورات النور .

ملاحظة : اعتمدنا في هذا البحث ترجمة فانديك للكتاب المقدس وقد نشرته جمعيات الكتاب المقدس المتحدة في بيروت ، ١٩٦٦ .

ثانياً – المصادر الاجنبية

Frank Leslie Cross, **St. Cyril of Jerusalem's Lectures on the Christian Sacraments,** S.P.C.K. Holy Trinity Church, London, 1966.

Alexander Cruden, ***Complete Concordance to the*** **Old and New Testaments,** Lutterworth Press, London, 1964.

Yves M.-J. Congar, O.P., **Le Mystère du Temple,** Editions du Cerf, Paris, 1963.

Vladimir Lossky, **A l'Image et à la Ressemblance de Dieu,** Aubier-Montaigne, Paris, 1967.
Feuillets Orthodoxes Nos. 31-32, **Liturgie Quotidienne.**
R. Paquier, **Traité de Liturgique,** Neuchâtel, 1954.
Bishop John A.T. Robinson, **Liturgy Coming to Life,** A.R. Mowbray & Co. Ltd., London, 1960.
Alexander Schmemann, **For the Life of the World,** National Student Christian Federation, New York, 1963.
Alexander Schmemann, **Great Lent,** St. Vladimir's Seminary Press, 1969.
Alexander Schmemann, **Holy Week,** Orthodox Worship, No. 3.
Irénée-Henri Dalmais, O.P., **The Eastern Liturgies,** Burns and Oates, London, 1960.
Paul Evdokimov, **La Prière de l'Eglise d'Orient,** Editions Salvator - Mulhouse, Paris, 1966.
Paul Evdokimov, **L'Orthodoxie,** Delachaux et Niestlé, Paris, 1959.
George Every, **Basic Liturgy,** The Faith Press, London, 1961.
Hans-Joachim Kraus, **Worship in Israel,** (translated) the Alden Press, Oxford, 1966.
William D. Maxwell, **An Outline of Christian Worship,** Oxford University Press, London, 1965.
Thierry Maertens, **Faut-il encore une Liturgie ?** Centurion, Paris, 1968.
Jean Daniélou, **Bible et Liturgie,** Editions du Cerf, Paris, 1958
Jean-Jacques Von Allmen, **Liturgique,** cours donné à l'Université de Neuchâtel pendant l'année académique 1960-61 (inédit).

Timothy Ware, **The Orthodox Church,** Pelican, London, 1963.
Lev Gillet, **Communion in the Messiah,** SCM, London, 1942.
Oscar Cullmann, **Christologie du Nouveau Testament,** Niestlé, Paris, 1958.
Oscar Cullmann, **Les Sacrements dans l'Evangile Johanique, La Vie de Jésus et le Culte dans l'Eglise Primitive,** Delachaux et Nestlé, Paris, 1951.
Oscar Cullmann, **Le Christ et le Temps,** Paris, Delachaux et Niestlé, 1947.
National Student Christian Federation, **The Mystery of Love,** New York, 1963.
Alexander Schmemann, **Introduction to Liturgical Theology,** The Faith Press Ltd., U.S.A. 1970.
H. Leitzmann, **Histoire de l'Eglise Ancienne,** Paris, Payot, 1937.
Allan McArthur, **The Evolution of the Christian Year,** London, SCM, 1953.
A Monk of the Eastern Church, **Orthodox Spirituality,** S.P.C.K., London, 1968.
Nicolas Zernov, **Orthodox Encounter,** James Clarke & Co., Ltd., London, 1961.
Un Moine de l'Eglise d'Orient, **L'An de grâce du Seigneur,** 2 volumes, Editions AN-NOUR, 1972.
Un Moine de l'Eglise d'Orient, **Notes sur la Liturgie,** Editions AN-NOUR, 1973.

فهرس

صفحة

تم طبع هـذا الكتاب في ١٩٧٤/٨/١٥
في مطبعة النور تلفون ٢٨٦٩٨٩ – بيروت
لحساب منشورات النور ص.ب. ٢٩٦٦
بيروت – لبنان

١٢٠
١١ سنتو

السعر ٥ ل.ل.